منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية
(سورة فصلت نموذجا)

الدكتور
محمد ولد سيدي عبد القادر
الأستاذ المشارك بجامعة الطائف
كلية الشريعة والأنظمة
قسم القراءات

ملخص البحث :

هذا بحث بعنوان: "**منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية**"، والهدف من هذه الدراسة هو: رسم منهجية علمية واضحة المعالم، بينة الضوابط والخطوات؛ لتكون نموذجا للباحثين في المقاصد القرآنية، وقد خرجت هذه الدراسة بجملة من النتائج أبرزها: بيان أهمية هذا العلم ودقة مسلكه، وحاجة الباحثين فيه إلى منهجية تضبط عملهم فيه، وبينت هذه الدراسة تلك المنهجية بضوابطها وخطواتها النظرية مع تطبيق عملي على سورة فصلت يكون نموذجا للدارسين، وأوصت هذه الدراسة بالاعتناء ببناء الأهلية العلمية للباحثين في هذا المجال، مع الاهتمام بجرد مطولات التفسير لاستخراج مكنون دررها في هذا العلم، واعتماد مادة المقاصد متطلباً دراسياً في الدراسات العليا في الأقسام القرآنية، بل والشرعية عامة، والله الموفق.

Research Summary

This research is entitled: "Methodology of Research in the Purposes of the Quranic Suras". The aim of this study is to draw a clear scientific methodology, showing the controls and steps to serve as a model for researchers in the Quranic purposes. And the researcher's need for a methodology to control their work in it. This study showed that methodology with its controls and theoretical steps, This Science, and the adoption of the material requirement purposes of study in graduate studies in Quranic sections, but general legitimacy, and God bless.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن المقصد من الكلام هو الغاية التي يسعى إليها كل متكلم في كلامه، وإن تنوعت الأساليب في الوصول إلى تلك الغاية، والكشف عن مقصود المتكلم هو الهدف الذي يسعى إليه كل مفسر لكلام غيره؛ إذ بالكشف عن المقصد يعرف مراد المتكلم من كلامه، ولا يتأتى ذلك إلا بتأمل دقيق، وتدبر عميق، وأفضل ما تشغل به الأوقات وتعمر به العقول والأذهان تدبر كتاب الله تعالى قال تعالى:ۥ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ [ص ٢٩]؛ فتدبر القرآن الكريم سبيل لبيان إعجازه، وكشف براهينه، ومراميه، ومقاصده، والإيمان به، والعمل بما فيه، والدعوة إليه قال تعالى :وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ [الأنعام ٩٢] ؛وبتدبر القرآن الكريم تتجلى هداياته، ويتحقق الفهم والعمل والاتباع الذي هو مدلول التقوى وسبيل الرحمة قال تعالى :ۥ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ [الأنعام ١٥٥]، ولا يمكن أن يتحقق الاتباع إلا بفهم الكلام وإدراك مقاصد المتكلم به، ومن هنا كانت مقاصد القرآن الكريم هي الغاية التي يسعى إليها المتدبرون، ويتبارى في الوصول إليها والكشف عنها المفسرون، وللعلماء في الكشف عنها ومحاولة الوصول إليها طرائق متعددة، وأساليب مختلفة، كل بحسب ما يرمي إليه، وما يفتح الله به عليه، فجاءت عباراتهم مختلفة، وطرائقهم متباينة تبايناً يحار طالب العلم أي سبله يسلك، رغم أن مطلوبهم واحد وهو الكشف عن معاني القرآن الكريم وهداياته ؛لتحقيق الغاية التي من أجلها أنزله الله على عباده. ووضع

منهجية محددة المعالم للكشف عن مقاصد القرآن الكريم في سوره وآياته من أعظم الأمور المعينة لطالب العلم على فهم تلك الغاية بأيسر طريق، وتأتي هذه الدراسة محاولة للكشف عن تلك المنهجية بخطوات واضحة، ومعالم بارزة تسهل سبيل الوصول إلى مقاصد السور القرآنية.

ولي في اختيار هذا الموضوع أسباب دعت للكتابة فيه، وأهداف أرجو تحقيقها من بحثه، ومنهج سلكته في كتابته، وخطة اتبعتها في تقسيمه، وبيان ذلك على النحو التالي :

أ- أسباب اختيار هذا الموضوع :

لي في اختيار هذا الموضوع أسباب عدة أبرزها:

١- أن الاهتمام بالمقاصد الشرعية بعامة والقرآنية بخاصة ما يزال يحتاج إلى تأصيل علمي وبناء منهجي فأحببت أن تكون لي مشاركة في هذا التأصيل والبناء.

٢- أن بيان المقاصد القرآنية هو الغاية التي يسعى إليها كل متدبر ومفسر لكتاب الله، فأردت المشاركة في وضع منهجية علمية تسهل ذلك وتعين عليه بإذن الله تعالى.

٣- أن كشف المقاصد القرآنية سبيل للهداية التي من أجلها أنزل الله هذا الكتاب المبين فأحببت أن تكون لي مشاركة تسهل سبيل الوصول إلى تلك الهدايات.

ب- أهداف البحث:

لي في هذا البحث أهداف عدة أرجو تحقيقها من خلاله أبرزها :

١- المساهمة في صياغة منهجية علمية للكشف عن مقاصد السور القرآنية.

٢- الوقوف على ما كتبه الباحثون في تأصيل التفسير المقاصدي للقرآن الكريم – قدر الإمكان- ومحاولة صياغته في إطار منهجية علمية موحدة.

٣- تطبيق الإطار النظري لمنهجية البحث في مقاصد السور في مثال عملي يجلي هذه المنهجية ويوضحها من خلال سورة من سور القرآن الكريم قد تبدو موضوعاتها متعددة وإن كانت ترجع إلى مقصد واحد.

ج- منهج البحث:

لقد سلكت في القسم النظري من هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي فتتبعت ما كتب حول وسائل وخطوات كشف مقاصد السور، وسلكت في جانبه التطبيقي المنهج الاستنباطي التحليلي حيث بذلت ما في وسعي لبيان مقصد سورة فصلت، وربط موضوعاتها ربطاً يرجعها إلى مقصدها الأساس في اتساق يبين إعجاز القرآن الكريم في نظمه، وهدايته، مستعيناً على ذلك بالله سبحانه وتعالى ثم بما كتبه المفسرون في تفسير هذه السورة موضوع الدراسة، وما يفتح الله به علي من فهم واستنباط.

وأما المنهج الإجرائي فقد سلكت فيه الآتي:

١- عزوت الآيات إلى سورها بذكر رقم الآية واسم السورة بعد الآية بين معقوفين.

٢- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني على ما في مصحف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة.

٣- خرجت الأحاديث وحكمت عليها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كان في غيرهما بينته مع بيان حكم من حكم عليه من النقاد المعتبرين.

٤- وثقت الاقتباسات والنقول من مصادرها بذكر الجزء والصفحة، مع ذكر معلومات الطبع والنشر في أول ذكر للمصدر، مع بيان ذلك في فهرس المصادر والمراجع.

٥- اكتفيت في الإحالة داخل هذا البحث بذكر اسم المبحث أو المطلب دون ذكر الصفحة؛ لأن المباحث والمطالب لا تتغير بعد تحكيم البحث ونشره، والصفحات قد تتغير بعد تحكيم البحث ونشره في منفذ علمي كالمجلات المحكمة، والكراسي البحثية، والموسوعات العلمية، والمؤتمرات المتخصصة.

٦- اقتصرت في تفسير الآية أو الآيات على ما يفهم منه معناها مع التركيز على موضع الدلالة من غير استطراد في خلاف المفسرين إن وجد، وربما استطردت في معنى لفظ أو سر تعبير لأمر يقتضي ذلك تأكيداً لمعنى، أو إظهاراً لمناسبة.

٧- اعتنيت بما تعارف عليه الباحثون من علامات الترقيم التي تخدم النص كالفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والأقواس، وعلامات الاستفهام، والتعجب.

د- **خطة البحث** :

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرسين

أما المقدمة: فقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع ،وأهدافه، والمنهج المتبع فيه، والخطة التي سلكتها في تقسيمه.

وأما التمهيد فقد ذكرت فيه التعريف بمصطلحات عنوان البحث، والدراسات السابقة، وما تميزت به هذه الدراسة.

وأما المبحثان فقد جعلت الأول منهما لضوابط وخطوات منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية ، وجعلت الثاني: تطبيقاً لتلك الضوابط والخطوات على سورة فصلت.

وأما الخاتمة ففيها أهم النتائج والتوصيات.

وذيلت البحث بفهرسين : فهرس المصادر والمراجع، وفهرس موضوعات البحث

هـ- الدراسات السابقة :

تنقسم هذه الدراسة إلى قسم نظري وآخر تطبيقي، فأما القسم التطبيقي فإنني لم أقف فيه على من درس سورة فصلت وبين مقصدها على النحو الذي بحثته من تطبيق المنهجية التي رسمتها في القسم النظري بضوابطها وخطواتها على هذه السورة، وربط كل موضوعاتها بمقصدها الأساس، بل لم أقف على من درس أي سورة على هذا النحو، فكثير ممن عني بمقاصد السور لم يسلك هذا السبيل خطوة خطوة ولا ربط كل موضوعات السورة بمقصدها الأساس، على هذا النحو.

وأما الجانب النظري فقد وقفت فيه على عدة دراسات وبحوث أقربها لهذا الموضوع ثلاث دراسات وهي:

الدراسة الأولى :علم مقاصد السور للدكتور مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن الربيعة وهو بحث مطبوع، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ ،وتقع هذه الدراسة في أربع وستين صفحة تناول فيها الباحث قضايا تأصيلية لهذا العلم، وقد جاء البحث في مقدمة، وستة مباحث، تعرض في المقدمة إلى أهمية علم المقاصد، وأثره في فهم معاني القرآن الكريم، وإدراك مقاصده، وتناول في المباحث: التعريف بعلم المقاصد، وأهميته، وتأصيل علم مقاصد السور وأدلته، وعناية العلماء بالمقاصد واعتبارها، وعناية المفسرين بمقاصد السور ومناهجهم فيها،

وطرق كشف مقاصد السور، وخاتمة تناول فيها أهمية هذا العلم باعتباره منهجاً صحيحاً مأمون العاقبة، وأن الحاجة ما تزال ماسة إلى دراسة هذا العلم وتأصيله.

وهذه الدراسة من أحسن الدراسات التي وقفت عليها في الجانب النظري تأصيلاً وتأريخاً، مع بيان مناهج المؤلفين في هذا العلم والمهتمين به من المفسرين، وقد خلت هذه الدراسة من المثال التطبيقي على سورة من القرآن الكريم؛ لأن ذلك لم يكن هدف الباحث وفقه الله .

الدراسة الثانية: علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم للدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري، وتقع هذه الدراسة في ثلاث وسبعين صفحة، وهي دراسة منشورة على الشبكة العنكبوتية، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، بين الباحث في المقدمة أهمية هذا العلم في تفسير كتاب الله تعالى، وتناول في التمهيد اسم هذا العلم، والمصطلحات القريبة منه، وموضوع هذا العلم ومسائله، واستمداده، ونسبته إلى العلوم، وعلاقته بمقاصد الشريعة، وتناول في الفصل الأول تاريخ هذا العلم وتأصيله في خمسة مباحث: ذكر فيها الواضع لهذا العلم، والكتب المؤلفة فيه، وأدلة مشروعيته، وأهميته، وثمرته، وبين في الفصل الثاني جملة من ضوابط ومعايير معرفة مقصد السورة، وأبرز الوسائل المعينة على معرفة مقصد السورة، وختم البحث بخاتمة قسمها إلى نتائج وتوصيات ذكر في النتائج أن هذا العلم من أعظم أبواب التدبر، وأنه من علوم الاجتهاد، وأن لكل سورة مقصدا قد يكون واضحا وقد يكون خفيا، وأوصى بحصر كلام العلماء في هذا الباب وبمزيد من البحث فيه.

وهذه الدراسة جيدة كالتي قبلها وإن كان يغلب عليها أسلوب السرد والاستطراد، وقد خلت كالتي قبلها من المثال التطبيقي على سورة من سور القرآن الكريم

الدراسة الثالثة: مقاصد السور وأثر ذلك في علم التفسير للشيخ صالح آل الشيخ، وهذه الدراسة في الأصل دورة علمية فرغت ونشرت على الشبكة العنكبوتية، وتقع في أربع وثلاثين صفحة تناول الشيخ فيها أهمية علم المقاصد للمفسر، وبعض العلوم التي يحتاجها المفسر، وموقف العلماء من علم المناسبات، وعلاقته بعلم المقاصد، ثم ذكر مثالين لمقاصد السور، وهما مقصد سورة الفاتحة بشكل مجمل، ومقصد سورة العنكبوت بشكل أكثر تفصيلاً، وهذه الدراسة تنقصها المنهجية التي تقرب مسائلها وفوائدها.

و- مكانة هذه الدراسة ومميزاتها:

تتجلى مكانة هذه الدراسة وقيمتها من مشاركتها لأخواتها السابقة في بناء منهجية علمية تكون عوناً للباحثين في هذا العلم ،ضمن ضوابط وخطوات منهجية واضحة المعالم، وإن كان للسابق فضل سبقه، وقد تميزت هذه الدراسات عن أخواتها بمميزات أبرزها:

١- التفريق بين الضوابط والخطوات المنهجية للبحث في مقاصد السور، حتى يفرق الباحث بينما هو ضابط وما هو خطوة، بينما جاء ما ذكر من هذه الضوابط والخطوات في الدراسات السابقة بشكل سردي لم يفرق فيه بينما هو ضابط أو خطوة[١].

٢- التفريق في الضوابط بينما هو ضابط للباحث وما هو ضابط للموضوع وهو أمر لم تتعرض له الدراسات السابقة.

٣- التطبيق العملي للخطوات المنهجية للبحث في مقاصد السور على سورة من القرآن خطوة خطوة، مع تحري كون تلك السورة متعددة الموضوعات.

٤- ربط موضوعات السورة بمقصدها ربطاً تتبين فيه علاقة تلك الموضوعات بمقصد السورة على وجه لا استكراه فيه ولا تكلف.

(١) انظر علم مقاصد السور للدكتور مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن الربيعة ص٤٧، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، وعلم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم للدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري ص ٥٢ نسخة الكترونية منشورة على الشبكة العنكبوتية بصيغة PDF، ومقاصد السور وأثر ذلك في علم التفسير لصالح آل الشيخ ص ٣،نسخة الكترونية منشورة على الشابكة العنكبوتية بصيغة PDF

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

يتألف عنوان هذا البحث من خمس كلمات هي: المنهجية، والبحث، والمقاصد، والسور، والقرآنية، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المنهجية: ،وفيه فرعان

الفرع الأول: المنهجية في اللغة :

المنهجية مصدر ميمي منسوب إلى المنهج والمنهج في اللغة مشتق من "النهج"، وهو في اللغة: الطريق، والطريق الواضح والمستقيم ؛ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٠هـ): " نهج: طريق نهج: واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر وأنهج- لغتان- أي: وضح، ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج: الطريق الواضح"[(١)]، وقال ابن فارس-(ت٣٩٥):" نهج: النون، والهاء، والجيم، أصلان متباينان: الأول: النهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضا، والجمع المناهج، والآخر الانقطاع، وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس، وضربت فلانا حتى أنهج أي سقط "[(٢)]

وهذه المعاني اللغوية تدل على أن المنهجية في الأصل الطريقة حسية كانت أو معنوية، وقد يضاف إليها وصف الوضوح أو السعة أو الاستقامة.

الفرع الثاني: المنهجية في الاصلاح:

عرفت المنهجية في الاصطلاح البحثي تعريفات عدة أحسنها أنها: "الطريقة الواضحة المستقيمة ،التي يسلكها الباحثون لضبط عملهم للوصول إلى نتائج علمية، وفق أسس وضوابط متفق عليها".[(٣)]

---

(١) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى سنة (١٧٠هـ)٣٩٢/٣، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المتوفى سنة (٣٩٥هـ) ٣٦١/٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر :دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) انظر التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين ص ١٧-١٧،طبعة دار عمار ١٤٢٨هـ

المطلب الثاني: البحث: وفيه فرعان :

الفرع الأول: البحث في اللغة:

ورد البحث في اللغة لمعان ترجع إلى :الطلب، والإثارة، والتفتيش، والكشف.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: " بحث: البحث: طلبك شيئا في التراب، وسؤالك مستخبرا، تقول: أستبحث عنه وأبحث، وهو يبحث بحثا، والبحوث من الإبل التي إذا سارت بحثت التراب بأيديها أُخرا ترمي به إلى خلفها"(١)، وقال أبو بكر بن دريد(ت٣٢١هـ):"بحثت عن الشيء أبحث بحثا إذا كشفت عنه وكأن أصل ذلك ابتحاثك التراب عن الشيء المدفون فيه"(٢)، وقال الأزهري (ت٣٧٠هـ) :".. البحث: طلبك الشيء في التراب، والبحث: أن تسأل عن شيء وتستخبر، يقال: بحثت أبحث بحثا، واستبحثت، وابتحثت، وتبحثت بمعنى واحد"(٣)، وقال ابن فارس: "بحث: الباء، والحاء، والثاء: أصل واحد يدل على إثارة الشيء"(٤).

وهذه المعاني متقاربة ولو قيل إن بينها تلازما من حيث إن الطلب حافز، والإثارة، والتفتيش وسيلتان، والكشف غاية لما كان ذلك بعيدا.

الفرع الثاني: البحث في الاصطلاح:

عرف البحث في الاصطلاح بتعريفات عدة ترجع من حيث المعنى إلى تعريفين:

أ- "إثبات النسبة الإيجابية، أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال"(٥).

---

(١) العين للخليل بن أحمد ٣٠٧/٣

(٢) جمهرة اللغة لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة (٣٢١هـ) ٢٥٨/١، تحقيق رمزي منير بعلبكي
نشر: دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المتوفى سنة (٣٧٠هـ)٢٧٩/٤، تحقيق مُحَمَّد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة الأولى، ٢٠٠١م

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٤/١

(٥) كتاب التعريفات لعلي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)ص ٤٢،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

ب-"عملية تتطلب إثارة لقضية ذات شأن وأهمية، واستكشاف أحوالها وسبل التعامل معها"[١].

المطلب الثالث: المقاصد: وفيه فرعان:

الفرع الأول : المقاصد في اللغة:

المقاصد جمع مقصد، وهو مصدر ميمي مشتق من "قصد" وهي مادة تدل على التوجه، والطلب، والإتيان، والتوسط، والاعتدال في الأمر حسيا كان أو معنويا[٢]

الفرع الثاني: المقصد في الاصلاح:

المقصد في الاصطلاح هو "الغاية والهدف الذي يريده المتكلم من كلامه أو الفاعل من فعله"[٣]، فمقصد الكلام، هو مضمونه ومراد المتكلم منه، ومقصد الفعل هو الغاية التي من أجلها فعل.

المطلب الرابع: السور، وفيه فرعان:

الفرع الأول: السور في اللغة:

السور في اللغة : جمع سورة، وهي مشتقة من مادة "سور"، وهي مادة تدل على علو وارتفاع، وقال ابن فارس: "سور: السين، والواو، والراء: أصل واحد يدل على علو وارتفاع"[٤]، والسورة في القرآن الكريم قيل اشتقاقها "من سور البناء، أي: القطعة منه، أي: منزلة بعد منزلة، وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها، ومنه: السوار، وقيل: بارتفاعها، لأنها كلام الله، والسورة: المنزلة الرفيعة، فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى، ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن"[٥]، ولا يبعد

(١) التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للدكتور زياد خليل الدغامين ص ١٦.

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري ٢٧٦/٨، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٥.

(٣) انظر معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر المتوفى سنة (١٤٢٤هـ) ١٨٢٠/٣ بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١١٥/٣.

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الحنفي المتوفى سنة (١٠٩٤هـ)،ص٤٩٤، تحقيق عدنان درويش ،ومحمد المصري، طبع: مؤسسة الرسالة - بيروت

عندي اشتقاقها من ذلك كله؛ لما فيها من العلو والارتفاع ؛ لأنها كلام الله، ولما فيها من الإحاطة بآياتها إحاطة حفظ وامتناع عن المعارضة فلا يستطيع البلغاء أن يأتوا بمثلها، فلذلك وقع بها التحدي قال تعالى: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [البقرة ٢٣]، وقال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [يونس ٣٨]

الفرع الثاني: السور في الاصطلاح:

عرفت السورة في الاصطلاح بتعريفات متقاربة منها:

أ- "قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات"(١)

ب-"الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص توقيفا وأقله ثلاث آيات"(٢).

والتعريف الثاني أولى لاشتراط التسمية، غير أن اشتراط التوقيف فيه لا يصلح للحد والتعريف؛ إذ بعض السور لها أكثر من اسم منها التوقيفي ومنها الاجتهادي(٣)، والمختلف فيه لا يصلح أن يكون وصفا مميزا للمُعَرَّف، فالأولى أن يقال في تعريف السورة: "طائفة من القرآن ذات تسمية مخصوصة تشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة"

المطلب الخامس : القرآنية:،وفيه فرعان :

الفرع الأول : القرآنية في اللغة :

القرآنية نسبة إلى القرآن الكريم، والقرآن في اللغة: مشتق من "قرأ" قراءة وقرآنا؛ لأنه مقروء يتلى، وقيل مشتق من "القرء" وهو الجمع ؛لجمعه لثمرات الكتب السابقة، وقيل مشتق

(١) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤هـ)١/٢٤٦،

تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،الطبعة الأولى١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

(٢) التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي ص ١١٧، نشر : دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٦٩.

من : "قرن" ، لإحكام اقتران السور والآيات فيه، وقيل مشتق من "القرائن"؛ وذلك لأن الآيات فيه يصدق بعضها، ويشبه بعضها بعضا في الإحكام وقوة الحجج على وجه لا يشابهه فيه غيره، وقيل اسم مرتجل، وهو علم على كتاب الله تعالى الذي أنزله على رسولنا مُحَمَّد -ﷺ ، كعلمية التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى عليهما السلام [١]

وقد رجَّح الشيخ مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٧٦هـ) القول باشتقاقه من "قرأ" وبين أنه هو الذي تشهد له موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق[٢] .

الفرع الثاني: القرآنية في الاصطلاح:

القرآنية نسبة إلى القرآن الكريم كما أسلفت والقرآن الكريم في الاصطلاح هو:" كلام الله المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ ، المعجز، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر"[٣]

وبعد هذا العرض لتعريف مفردات عنوان هذا البحث يجدر بنا أن نبين مفهومه المصطلحي باعتباره مركباً فنقول: إن منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية هي: "الطريقة الواضحة التي يمكن أن يسلكها الباحثون والمتدبرون لكتاب الله تعالى للوصول إلى الغايات والهدايات الكلية التي نزلت في شأنها سور القرآن الكريم وما أراده الله من عباده فيها".

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو شهبة ص ١٨-٢٠،طبع :مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني المتوفى سنة (١٣٦٧هـ)، ١/١٤،نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،الطبعة الثالثة.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور مُحَمَّد أبي شهبة ص ٢١.

المبحث الأول: ضوابط وخطوات منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: ضوابط منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية، وفيه فرعان:

الفرع الأول : ضوابط الباحث في مقاصد السور القرآنية:

للباحث في مقاصد السور القرآنية ضوابط ينبغي اعتبارها ومن أبرز تلك الضوابط:

أولا: الأهلية العلمية:

الباحث في مقاصد السور مفسر لكتاب الله تعالى، فلا بد له من الأهلية العلمية التي تمكنه من النظر في كتاب الله تعالى؛ قال الإمام الزركشي -(ت٧٩٤هـ)-:"كتاب الله بحر عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم"[(١)].

وقد بالغ بعض العلماء في معنى هذا التبحر في العلوم فاشترط للناظر في تفسير كتاب الله تعالى بلوغ درجة الاجتهاد في العلوم الشرعية كلها[(٢)]، والصواب التوسط في ذلك فلا يفتح الباب لمن ليس أهلا للنظر في القرآن الكريم ليقول فيه بغير علم، فإن ذلك محرم بإجماع[(٣)]،ولا يغلق الباب دون من حصَّل من علوم الآلة ما يمكنه من النظر في القرآن الكريم، وإن لم يبلغ درجة الاجتهاد في العلوم الشرعية.

وأبرز العلوم المعينة على تدبر القرآن الكريم واستخراج أحكامه وحكمه، وبيان مقاصده وهداياته هي: ١- السنة النبوية لأن النبي ﷺ هو المبين عن الله مراده في كتابه قال تعالى:﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٤٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٥٣/٢

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) ٢١٣/٤، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م

(٣) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٩٣هـ) ٢٥٨/٧، نشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان :١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م

٢- علم اللغة العربية؛ فإن الله سبحانه وتعالى أخبر في غير ما آية أنه أنزل هذا الكتاب بلسان عربي مبين، قال تعالى :ﭐلٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ [يوسف ١-٢]، وقال :ﭐ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝[الشورى ٧]،وقال:ﭐ حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝[الزخرف ١-٣]، فقد دلت هذه الآيات على أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ؛لتعقل معانيه وينذر بها؛ فدل ذلك على أن معرفة لسان العرب سبيل إلى فهمه وإدراك مقاصده وهداياته، وقد أكد على هذا الضابط علماء التفسير من السلف والخلف[(١)]، قال مجاهد بن جبر –(ت ١٠٤هـ)- "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[(٢)]، وقال الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ)-:"القرآن نزل بلسان العرب .. فمن أراد تفهمه؛ فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلّب فهمه من غير هذه الجهة"[(٣)]، وقال مُحَمَّد الطاهر بن عاشور –(ت ١٣٩٣هـ)-:" إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو،

(١)انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى سنة (١٢٧٠هـ)٦/١، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، والتفسير والمفسرون للدكتور مُحَمَّد السيد حسين الذهبي المتوفى سنة (١٣٩٨هـ)١٩٠/١،نشر: مكتبة وهبة بالقاهرة

(٢) ذكره الزركشي في البرهان ٢٩٢/١، والسيوطي في الإتقان٢١٣/٤.

(٣) الموافقات للإمام إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي المتوفى سنة (٧٩٠هـ)١٠٢/٢، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،نشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

والمعاني، والبيان. ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم"[(١)].

٣- علم أصول الفقه؛ فهو من أجل العلوم التي يحتاجها المفسر، وهو وإن كان في مباحث الدلالات يرجع إلى علوم اللغة إلا أن فيه مباحث حررها العلماء لا يجدها الباحث في كتب اللغة، وإن كانت في الأصل راجعة إلى اللغة، كمراتب الدلالات، وأحوالها الشرعية، ونحو ذلك من الضوابط التي أصبحت ميزاناً ومعياراً يحتكم إليه العلماء في تعاملهم مع النصوص الشرعية، كقولهم الأصل في الكلام الحقيقة، والظهور، والتمام، والترتيب، فمن ادَّعى مجازاً أو خفاءً أو تأويلاً أو حذفاً أو زيادة أو تقديماً، أو تأخيراً طولب بالدليل على ذلك وإلا كان قوله مجانباً للصواب خارجاً عن الأصل في الكلام[(٢)] .

وبهذه الضوابط ونحوها رد العلماء كثيراً من تفاسير أهل الأهواء والبدع الذين ادعوا في النصوص مجازاً بلا قرينة تكفي لصرف اللفظ عن حقيقته، أو تأويلاً بلا صارف يجب القبول بدلالته، أو تقديماً أو تأخيراً أو حذفاً أو زيادة بلا برهان يجب التسليم له[(٣)].

ثانيا: تحقيق التقوى:

عرفت التقوى بتعريفات عدة ترجع إلى معنى جامع وهو : "فعل ما أمر الله به، على بصيرة رجاء ثواب الله ،وترك ما نهى الله عنه، على بصيرة، خوفا من عقاب الله" [(٤)]، وللتقوى أثر عظيم في الفهم عن الله فهي تنير البصائر، وتفتح القرائح، وتستوجب المزيد من عطاء الله

(١) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)للشيخ مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة (١٣٩٣هـ)١٨/١،نشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ

(٢) انظر مختصر التحرير في أصول الفقه لتقي الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار المتوفى سنة (٦٧٢هـ) ص ٣٣-٤٤، تحقيق الدكتور مُحَمَّد مصطفى مُحَمَّد رمضان، طبع: مكتبة دار الأرقم، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ

(٣) انظر منهجية البحث في الموضوع القرآني الضوابط والخطوات للدكتور مُحَمَّد بن سيدي عبد القادر ، بحث محكم ومنشور بمجلة جامعة الطائف ص٢٤٣، المجلد الثاني، العدد التاسع.

(٤) انظر الكليات للكفوي ص ٢٩٩،ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – ﷺ ١٠٧٩/٤،تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ،نشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع بجدة، الطبعة الرابعة.

وتفضله على عباده بفهم كتابه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال ٢٩]، وهذا وعد من الله بأن يجعل للمؤمنين المتقين برهاناً به ثبات القلوب، وثقوب البصائر، وحسن الهداية، والتفريق بين الحق والباطل(١)، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة ٢٨٢]، وهذا "وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه"(٢).

ثالثا: الحياد والتجرد

إن الناظر في القرآن الكريم يلزمه الحياد والتجرد من المعتقدات والأهواء السابقة التي قد تحول بينه وبين دلالة النص؛ ولهذا المعنى اشترط العلماء في المفسر صحة الاعتقاد، والسلامة من الأهواء، والتعصب المذهبي، وجعلوا خلاف ذلك من الموانع والحجب التي قد تحول بين الناظر وبين فهم مراد الله بتجرد وموضوعية، ونص بعض العلماء على أن اتباع الهوى، والتقليد العقدي، والمذهبي، والكبر، والإصرار على الذنب من أعظم حجب فهم القرآن، وعلل بعضهم ذلك بأن القلب كالمرآة أوضح ما تكون الصورة فيها إذا كانت صافية، والمعتقد السابق، والهوى، والكبر، والذنوب: حجب ترين على القلب فتحجب عنه الصورة على حقيقتها، كما يحجب الطلاء على المرآة الصورة، أو يعكر رؤيتها على حقيقتها(٣)،

(١) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ) ٣٤٦/٢،نشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٤هـ.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ٤٠٦/٣، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ،نشر: دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

(٣) انظر إحياء علوم الدين لأبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي المتوفى سنة(٥٠٥هـ) ١ /٢٨٤، نشر:دارالمعرفةببيروت

ونص بعضهم على أن ذلك من أعظم أسباب الخطأ في دلالة النص ومدلوله قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)– في معرض حديثه عن أسباب الخطأ في التفسير – : "فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف هذه الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم، تارة يستدلون بآيات على مذهبهم لا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه " [١].

خامسا: الصبر والتنقيح:

مقاصد السور القرآنية خفية دقيقة لا يوصل إليها إلا بعصف ذهني وتأمل دقيق، وتفكر وتدبر عميق، فلا بد للباحث في مقاصد السور القرآنية من الصبر والتأمل، والاستقراء، والتمحيص، والسبر، والتقسيم، والتنقيح، فقد يبدو للناظر ما يراه مقصداً كلياً للسورة وبعد البحث والتحري والسبر والتقسيم والتنقيح يجده موضوعاً من موضوعاتها الرئيسة، وليس مقصدها الأساس، فتعيين مقصد السورة ومحورها الذي ترجع إليه كل موضوعاتها "أصعب المعارف ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر" [٢]، فهذا الإمام البقاعي – (ت٨٨٥هـ) – فارس علم المناسبات بين السور والآيات– يقول: "فرب آية أقمت في تأملها شهورا" [٣] ويقول – في معرض حديثه عن دلالة اسم السورة على مقصدها– "وقد ظهر لي .. بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها"[٤]، "فالوصول للمقصد وكشفه يحتاج إلى دقة فهم

(١) مقدمة التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨هـ) مع شرحها للشيخ مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين المتوفى سنة (١٤٢١هـ) ص ٩٨، إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد الطيار، نشر: دار الوطن بالرياض ،الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥م.

(٢) دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي ص ١٦، نشر مكتبة الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٨هـ

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ)١/١٤ ،نشر: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٤) المصدر السابق ١/١٨.

وشدة تأمل وطول بحث، ذلك أنه أمر خفي في السورة يجري فيها جريان الروح في الجسد، ولا شك أن ترداد النظر وتكرار البحث سبيل للوصول إليه"[(١)].

الفرع الثاني: ضوابط موضوع البحث في مقاصد السور القرآنية:

الكشف عن مقاصد السور القرآنية موضوع قرآني لا بد فيه من مراعاة ضوابط الموضوع القرآني، وأبرز الضوابط التي ينبغي مراعاتها في بيان مقاصد السور القرآنية يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: الانطلاق من مقاصد القرآن الكلية:

سور القرآن الكريم جزء منه، وللقرآن الكريم مقاصد كلية لا بد للباحث في مقاصد السور من الاطلاع عليها، حتى تكون ضابطاً لما يصل إليه من مقاصد فرعية، فما ليس مقصدا للقرآن الكريم لا يمكن أن يكون مقصداً لسورة من سوره، ومقاصد القرآن الكريم الكلية بعضها منصوص كمقصد هداية الناس في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء ٩] وبعضها مستنبط اعتنى العلماء والمفسرون -رحمهم الله- ببيانه، ليكون مدخلا يحكم سيرهم في تدبر وتفسير كتاب الله تعالى، ونبراسا ينير الطريق لمن جاء بعدهم من المفسرين والمتدبرين لكتاب الله تعالى، فقد ذكر أبو حامد الغزالي -(ت٥٠٥)- أن مقاصد القرآن تنحصر في ستة، ثلاثة مهمة، وثلاثة متممة، فأما الثلاثة المهمة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه، وأما الثلاثة المتممة فهي: تعريف أحوال المجيبين للدعوة، وحكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم، وتعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد"[(٢)].

---

(١) علم مقاصد السور للدكتور مُحَمَّد عبد الله عبد الرحمن الربيعة ص٤٩، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ

(٢) جواهر القرآن لأبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) ص٢٤، تحقيق الدكتور الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا القباني، نشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

ويمكن إرجاع هذه المقاصد الستة إلى مقصد جامع وهو التعريف بالمعبود سبحانه وتعالى، وبصراطه المستقيم الموصل إلى مرضاته، وأحوال الناس في اتباع صراطه المستقيم، وما أعد لمن أطاعه من النعيم، ومن خالف أمره من العذاب الأليم ؛ فرجع مقصد القرآن إلى الحديث عن الله في ذاته، وصفاته، وأمره، ونهيه، ووعده، ووعيده، وثوابه، وعقابه.

وقد أشار أبو حامد الغزالي إلى هذا المعنى الجامع فقال:" فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس ..وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله.. وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه.. ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده "[1].

وقال فخر الدين الرازي-(ت٦٠٦هـ)-:"والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى"[2].

وقال الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي -(ت٧٤١هـ)- :" فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والآخر: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها.. وأما على التفصيل فاعلم أن معاني القرآن سبعة: هي: علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص"[3].

وذكر الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور: أن المقصد الأعلى من القرآن الكريم هو: صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، وأن ذلك يرجع إلى مقاصد كلية أرجعها بعد الاستقراء إلى ثمانية مقاصد:

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٣٤٣/٤، بتصرف يسير للاختصار.

(٢) مفاتيح الغيب = (التفسير الكبير) لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة (٦٠٦هـ)١٥٦/١،نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى سنة (٧٤١هـ) ١٤/١،تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعةالأولى١٤١٦هـ

أولها: صلاح الاعتقاد، وهو أعظم سبب لإصلاح الخلق.

وثانيها: تهذيب الأخلاق.

وثالثها: التشريع وهو الأحكام العامة والخاصة.

ورابعها: سياسة الأمة وحفظ نظامها.

وخامسها: القصص وأحوال الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم والتحذير من مساويهم.

وسادسها: التعليم بما يناسب حالة المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

وسابعها: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

والثامن : الإعجاز بالقرآن ؛ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ ؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي(١).

وجعلها الشيخ مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني: "ثلاثة مقاصد رئيسية :أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي ﷺ ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس"(٢).

ثانيا: الاعتماد على السورة في الدلالة على مقصدها:

إن لكل سورة مقصداً عليه عمادها، وإليه ترجع كل موضوعاتها -وإن بدت للناظر متفرقة- ،ومهمة الباحث في الكشف عن مقاصد السور القرآنية هي بيان ذلك المقصد من خلال السورة نفسها، وربط مواضيع السورة بمقصدها الأساس، وعمدة ذلك هو البحث في السورة نفسها بحثاً دقيقاً متأنياً حتى ينجلي مقصدها، ويتضح بإذن الله تعالى وتوفيقه، ولذلك خطوات تعين عليه، وتوصل إليه سيأتي الحديث عنها في مبحث الخطوات المنهجية للكشف عن مقصد السورة إن شاء الله تعالى.

ثالثا: عدم الخلط بين مقصد السورة وموضوعاتها:

السورة القرآنية لها مقصد هو الأساس الذي بنيت عليه كل موضوعاتها، فهو قطب معانيها الذي تدور عليه كل المعاني، وقد يكون ذلك المقصد ظاهراً جلياً إذا لم تتعدد الموضوعات كمقصد سورة الناس الذي هو الاعتصام بالله من شر شياطين الإنس والجن، فدلالة السورة

(١) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١/٣٨-٤١ بتصرف للاختصار.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ٢/١٢٤.

على هذا المقصد جلية إذ لم يخرج مضمون آياتها عن الدلالة الصريحة على هذا المقصد، وقد يكون المقصد خفياً لتعدد موضوعات السورة ،فتكون مهمة الباحث في مقاصد السور القرآنية هي بيان ذلك المقصد بدقة، وربط كل موضوعات السورة به ربطاً دقيقاً يبين علاقتها به ورجوعها إليه، وبين المقصد وموضوع السورة أو موضوعاتها فرق يظهر عند البحث والتنقيح، فمقصد السورة هو الأساس لكل موضوعاتها، وهو كالروح تسري في كامل الجسد، وموضوعات السورة أجزاء في الظاهر لها استقلال ومسمى كالحديث عن الجنة والنار، والصلاة والزكاة، ولكنها تعود إلى المقصد الأساس برابط وثيق كأن تكون سببا أو مانعا أو دافعا أو نتيجة[1]، فهي أشبه ما تكون في استقلالها وارتباطها بأعضاء الجسد الواحد لها استقلال بالاسم، وحيز في الظاهر ولكنها في الواقع جزء من الجسد الواحد كاليد والعين والأذن لها أسماء استقلال في الظاهر ولكنها جزء من كل هو الجسد الذي هي جزء منه، فمواضيع السورة وإن تعددت هي جزء من مقصدها الأساس.

رابعا: التعبير عن المقصد بإيجاز:

مقصد السورة معنى جامع ترجع إليه معاني كل موضوعاتها، فلا بد من الإيجاز في التعبير عنه، وتحري اللفظ الجامع الذي ينبئ عنه بوضوح وإيجاز، فمقصد السورة بمنزلة التعريف بها، ولابد في التعريف والحد من الوضوح والإيجاز، والاستطراد في التعبير عن المقصد قد يخرج الباحث عن بيان المقصد إلى بيان المعنى الإجمالي للسورة، وبين الأمرين بون شاسع؛ لذا نجد بعض من عنوا بهذا الباب يعبر عن المقصد بعبارة موجزة مبيناً رجوع مواضيع السورة إلى مدلول تلك العبارة، فهذا هو المقصد سواء عبر عنه بالمقصد [2] أو بلفظ مرادف له أو

(١) انظر دلائل النظام للفراهي ص ١٦، ومقاصد السور القرآنية للدكتور مُحَمَّد الربيعة ص ٤٨، وعلم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم للدكتور عبد المحسن المطيري ص ٤٦.

(٢) يمثل هذا الاتجاه البقاعي في كتابه مصاعد النظر (انظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ)٩/٢، ١٥٣، ٦٧، و٨٧/٣، ١٠٣، ١١٦، ١٤٤، نشر: مكتبة المعارف – الرياض ،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م)

قريب منه كروح السورة [١]، بينما نجد البعض الآخر يعبر بما اشتملت عليه السورة من معاني كلية كقول بعضهم غرض هذه السورة كذا أو اشتملت هذه السورة على كذا [٢]فهو مخبر عن موضوعاتها لا عن مقصدها، والذي يحكم ذلك هو مضمون الكلام، فإن كان معنى جامعاً موجزاً ترجع إليه كل معاني السورة فهو مقصدها، وإن كان معنى فرعياً -ولو أغلبياً- أو معاني متفرقة فهو بيان لموضوع السورة أو موضوعاتها.

خامسا: الربط بين مقصد السورة وموضوعاتها الفرعية:

بعض سور القرآن الكريم ذات مقصد ظاهر ترجع إليه كل آياتها كسورة الإخلاص في دلالتها على مقصدها الأساس وهو توحيد الله وتنزيهه[٣] فإن آيات السورة لم تخرج في دلالتها الظاهرة عن هذا المقصد فتمحضت آياتها له، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ١-٤]،وبعضها تكون دلالة آياتها على المقصد وتمحضها له أغلبية لا كلية في الظاهر، وإن كانت ثمة علاقة بين ما خرج في الظاهر عن الغالب الذي يمثل مقصد السورة، كسورة المنافقين فإن غالب آياتها في الحديث عن المنافقين، وفضح أسرارهم، وبيان قبيح قولهم، وفعلهم، وختمت بنداء المؤمنين وتحذيرهم من الاغترار باللهو بمتاع الدنيا من مال وولد عن ذكر الله، مع حثهم على الإنفاق قبل حلول الأجل والندم حين لا ينفع الندم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا

(١) انظر دلائل النظام للفراهي ص٩، ١٦.

(٢) يمثل هذا الاتجاه مُحَمَّد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فهو يقدم للسورة بعبارة "أغراض السورة أو غرض السورة" (انظر على سبيل التمثيل لا الحصر التحرير والتنوير ٦/١٨، ١٤٠، ٣١٤و٧/٢٩، ٢٤٥).

(٣) انظر مصاعد النظر للبقاعي ٢٨٠/٢.

تَعۡمَلُونَ﴾[المنافون٩-١١]، ولا يخفى ما لهذه الأوامر والنواهي من علاقة بمقصد السورة تعريضاً بحال المنافقين في لهوهم بمتاع الحياة الدنيا، ونسيانهم لذكر الله، وشحهم بالإنفاق، وتحذيراً للمسلمين من سلوك سبيلهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء ١٤٢]، وقال تعالى:﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة ٥٤]، وقد يكون في دلالة السورة على المقصد خفاء أو بعض ظهور، ولكن موضوعاتها متعددة وعلاقتها بالمقصد الأساس خفية، فتكون وظيفة الباحث في مقاصد السور القرآنية بيان ذلك المقصد وربط موضوعات السورة به، وإرجاعها إليه بوجه مقبول لا تعسف فيه يخرج النص عن دلالته، ويمكننا أن نمثل لهذا الربط بين مقصد السورة وموضوعاتها الفرعية من غير تعسف أو إكراه بما ذكره ابن قيم الجوزية-(ت٧٥١هـ)-في معرض حديثه عن مضمون سورة العنكبوت وربط موضوعاتها بمقصدها الأساس حيث قال:" فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان، وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمها وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر، والله المستعان يوضحه"[(١)]،فهو هنا أرجع موضوعات السورة إلى مقصدها الأساس الذي هو الابتلاء والامتحان، وإن لم يفصل ذلك من خلال مقاطع موضوعات السورة، لكن من تأمل السورة وجدها كما قال رحمه الله.

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام مُحَمَّد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ) ص٢٧٤،نشر:دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،وانظر مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير للشيخ صالح آل الشيخ ص١٦.

المطلب الثاني: خطوات منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية:

للباحث في مقاصد السور القرآنية خطوات تعين على معرفة مقصد السورة وتسهل الوصول إليه، واتخاذ تلك الخطوات منهجا من شأنه أن يقرب التفاوت بين الباحثين في هذا العلم الدقيق، ويضبط سيرهم بما يصلح أن يكون ميزاناً يمكن الرجوع إليه عند الاختلاف، ومن أبرز تلك الخطوات:

أولا : معرفة اسم السورة:

لمعرفة اسم السورة أثر قوي في الدلالة على مقصدها، لأن الاسم ينبئ عن معنى مسماه في الغالب؛ لذا نجد العلماء يبحثون في اشتقاق الأسماء للكشف عن معانيها، لأن مادة اشتقاق الاسم تعين على فهم معناه[(١)]، وقد نص على أثر اسم السورة في الدلالة على مقصدها فارس علم المناسبات ومقاصد السور الإمام البقاعي فقال: "وقد ظهر لي أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها"[(٢)] ،وقد تتعدد أسماء السورة فلا تبعد عن مدلول مقصدها كسورة التوبة فإنها تسمى الفاضحة لأنه ما زال ينزل فيهاُ وَمِنْهُم ۚ، وَمِنْهُم ۚ[التوبة٤٩، ٥٨، ٦١، ٧٥]، حتى كادت أن لا تدع أحداً، وتسمى: البحوث؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين، وتسمى: المبعثرة، والبعثرة: البحث، وتسمى أيضا بأسماء أخر: كالمقشقش؛ لكونها تقشقش من النفاق: أي تبرئ منه، والمخزية ؛لكونها أخزت المنافقين، والمثيرة ؛لكونها تثير أسرارهم، والحافرة؛لكونها تحفر عنها، والمنكلة؛ لما فيها من التنكيل لهم، والمدمدمة ؛لأنها تدمدم عليهم"[(٣)] فهذه الأسماء على تعددها كلها ترجع إلى مقصد السورة الأساس وهو فضح أسرار المنافقين لتميز الصف منهم، وتحذير المسلمين من أخلاقهم السيئة.

(١) ولأبي بكر بن دريد المتوفى سنة (٣٢١هـ)، كتاب حافل في اشتقاق الأسماء سماه "الاشتقاق" بين فيه اشتقاق كثير من الأسماء العربية، وهو كتاب مطبوع متداول، بتحقيق عبد السلام هارون ، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٨/١.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٣٨٧/٢ ، وانظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٩٥/١٠.

ثانيا: معرفة فضل السورة:

من الخطوات المهمة والمعينة على معرفة مقصد السورة الاطلاع على ما ورد في فضلها؛ فإن فضائل السور كالصفات لها، ومعرفة صفة الموصوف لها مزيد اختصاص بالعلم به، فمن عرف أن مُحَمَّدا كريم ليس كمن عرفه وجهل حاله من حيث الكرم أو عدمه؛ لذا حرص كثير من المفسرين على ذكر فضائل السور بين يدي تفسيرها ؛لتكون سبيلاً للترغيب فيها[1] وطريقاً يعين على إدراك مقاصدها[2].

ويلتحق بفضائل السورة في هذا المعنى قراءة النبي ﷺ لبعض السور في أوقات مخصوصة، أو أحوال مخصوصة كالجمع، والأعياد، ونحوها كقراءته ﷺ لسورة القمر في الجمع والأعياد[3]؛ لما فيها من آيات النبوة ودلائلها، والاعتبار بأحوال المكذبين لأنبيائهم[4]، ولكن ينبغي الاعتناء بما صح فإن هذا الباب وضعت فيه أحاديث كثيرة[5].

---

(١) من الذين عنوا بذلك مع تحري الصحيح- في الغالب- الحافظ ابن كثير في تفسيره (انظر تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) ١/٥،١٠١/١٣٥، ٨/١٧٥،تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

(٢) انظر مصاعد النظر للبقاعي ٢/١٢، ٧٠، وقد التزم ذكر فضائل كل سورة عند ذكر مقصدها.

(٣) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة (٢٦١هـ) ،كتاب صلاة العيدين ، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، ٢/٦٠٧حديث رقم ٨٩١، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية المتوفى (٧٢٨هـ)١/٤١٤،تحقيق: علي بن حسن ،وعبد العزيز بن إبراهيم، وحمدان بن مُحَمَّد، نشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٥) مثل الحديث الذي يروى عن أبي بن كعب ﷺ في فضائل القرآن سورة سورة فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (انظر الموضوعات للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)٢/٣٠٥، تحقيق الدكتور أحمد القيسية طبع مؤسسة النداء، الطبعة الأولى ١٤٢٣).

ثالثا: معرفة نزول السورة:

لمعرفة نزول السورة زماناً ومكاناً وسبباً أثر بارز في إدراك معانيها، ومقصدها ، فمعرفة الزمان والمكان لهما أثرهما البين في الكشف عن مقتضى الحال والمقام، ومعرفة السبب تورث العلم بالمسبب، وكلها أمور لا بد للمتدبر في مقاصد السور من الاعتناء بها ؛لتكون عونا له على فهم السورة فهما صحيحا يوصل إلى معرفة مقصدها؛ ولهذا المعنى اهتم العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بمعرفة المكي، والمدني، وأسباب النزول، يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ -(ت٣٢هـ)- "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه"(١)، وتخصيصه ﷺ للمكان "أين انزلت"، والسبب والمعنى "فيم أنزلت" فيه تنبيه ظاهر إلى مكانة هذين الأمرين في العلم بكتاب الله تعالى.

وقال مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها فيم أنزلت؟ وكيف كانت؟ "(٢)، فخص السؤال عن النزول وقدمه في الذكر لأهميته.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة (٢٥٦هـ) ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ ، ص ٨٩٧حديث رقم ٥٠٠٢، طبع دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ص١٠٤٠، حديث ٢٤٦٣).

(٢) أخرجه الإمام الطبري مُحَمَّد بن جرير المتوفى سنة (٣١٠هـ) في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٠/١، تحقيق الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر، لنشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، وانظر معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي المتوفى سنة (٥١٠هـ) ١٩/١، تحقيق :عبد الرزاق المهدي، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ

وقال الإمام الواحدي- (ت٤٦٨هـ) "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها" [١].

وقال الإمام الشاطبي: " معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن ،والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي به يعرف إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب -إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير، وتوبيخ، وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز، وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد.

والوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، مورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[٢].

ويلتحق بسبب النزول في هذا المعنى والأهمية معرفة واقع البشرية وقت نزول السورة، وإن لم يكن ثمة سبب خاص، فإن القرآن الكريم نزل لهداية الناس من الضلالة، ومعرفة ما كان عليه الناس وقت نزوله معين على فهم الآيات التي نزلت لتصحح ما كانوا عليه من معتقدات فاسدة، وأوضاع وعادات مختلة تنافي تعاليم ما شرعه الله لعباده مما به صلاح دينهم ودنياهم.

(١) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة (٤٦٨هـ) ص٩٦، تحقيق الدكتور ماهر ياسين الفحل طبع: دار اليمان.

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي ٤/١٤٦.

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الشاطبي فقال: "معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل -وإن لم يكن ثَمَّ سبب خاص- لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة"(١).

رابعا: تدبر مطلع السورة وخاتمتها:

إن التدبر الدقيق والتأمل العميق في مطالع السورة وخواتمها من أعظم السبل التي يهتدي بها المتدبر إلى مقاصد السور القرآنية، فإن في بداية السور من براعة الاستهلال ما يشير إلى مقاصدها، وفي خواتمها من حسن التخلص والختام ما يعين على تأكيد ما بدأت به من الدلالة على المقصد، وقد نبه على هذا المعنى بعض من عنوا بالكشف عن مقاصد السور وإعجاز القرآن؛ قال الإمام أبو حيان-(ت٧٤٥)-: "وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء.. وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم" (٢).

وقال الإمام السيوطي: "سور القرآن تستفتح بما يشير إلى المقصود، ثم يستطرد منه إلى غيره بأدنى ملاءمة .. ثم يشار في آخر السورة إلى مثل ما استفتح به(٣).

وقال الدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ) "..فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"(٤).

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي ١٥٤/٤.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) ٧٥٥/٢، تحقيق صدقي مُحَمَّد جميل ،نشر: دار الفكر – بيروت،١٤٢٠هـ.

(٣) قطف الأزهار في كشف الأسرار لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة(٩١٠هـ) ١٠٨/٢، وانظر علم مقاصد السور للدكتور مُحَمَّد عبد الله الربيعة ص ٥٤.

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن للدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز المتوفى سنة (١٣٧٧هـ) ص ١١٩، نشر دار القلم بالكويت بتاريخ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

خامسا: التكرار في السورة:

مما يعين المتدبر على معرفة مقصد السورة تدبر تكرار الكمات[١] أو الموضوعات فيها؛ فإن المتكلم يفتتح الكلام بما يشير إلى مقصوده، ثم يعمد إلى المقصود ويستطرد بما له به علاقة ثم يرجع إلى ما يدل على المقصد ثانية، وهكذا حتى يختم بمثل ما به بدأ ؛ فيدل رجوعه إلى موضوع ما أكثر من مرة على أنه محور كلامه، ومقصده الذي سيق الكلام لبيانه وتأكيده.

سادسا: الرجوع إلى المصادر التي تعنى ببيان مقاصد السور:

هناك كتب عدة تعنى ببيان مقاصد سور القرآن الكريم، منها المختص وغيره[٢]، فينبغي للباحث في مقاصد السور القرآنية أن يرجع إلى تلك المصادر ليفيد منها؛ لأن العلم بمقاصد السور فهم دقيق لأغراض السور وهداياتها، وفهم مقاصد السور وهداياتها منحة إلهية، يؤتيها الله من يشاء من عباده، وهي كالرزق الذي يعطى منه المرء ما لم يعط غيره، فتجد المفسر يصيب المحز في المعنى الدقيق ويخفى عليه ما هو أظهر منه، والمستكثر من الرجوع إلى المصادر التي عنيت بالكشف عن مقاصد السور مستكثر من الرجوع إلى ما فتح الله على عباده في كتابه ؛ ليكون ذلك له نموذجا يحتذيه في الفهم والاستنباط، ومنطلقاً ينطلق منه.

(١) علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم للدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري ص٥٨

(٢) من الكتب المختصة في المقاصد : مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ، ودلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، ومن الكتب غير المختصة: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب.

المبحث الثاني: مقصد سورة فصلت نموذجا، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: مقصد السورة:

مقصد هذه السورة هو : **بيان معجزة النبي ﷺ وغاية رسالته**، فمعجزته الدالة على صدقه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ،وغاية رسالته: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت٣]، وقد دل على هذا المقصد دلائل كثيرة بيانها في المطالب الآتية: -حسبما أصلته في الخطوات المنهجية السابقة-:.

المطلب الثاني: أسماء السورة ودلالتها على مقصدها:

١- سورة فصلت؛ لوقوع كلمة ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[فصلت ٣]، في أولها[(١)]، وقد جاء هذا الاسم في المصاحف المطبوعة[(٢)]، وكتب التفسير[(٣)]، والقراءات[(٤)]، والرسم[(٥)] ، وعد آي القرآن [(٦)]

(١) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور٢٤/٢٢٧.

(٢) انظر المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ص ٤٧٧، ورواية قالون عن نافع طبع الجماهيرية الليبية ص ٤٧٦، والمصحف الشريف برواية ورش عن نافع طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ص ٣٩٦.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٠/٣٧٥، وبحر العلوم لأبي الليث نصر بن مُحَمَّد السمرقندي المتوفى سنة(٣٧٣هـ)،٣/١٧٦،طبع: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، والنكت والعيون لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ)٥/١٦٧، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،نشر: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ومعالم التنزيل للبغوي ٤/١٢٤.

(٤) انظر كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى التميمي، المعروف بابن مجاهد البغدادي المتوفى سنة (٣٢٤هـ)ص ٥٧٦، تحقيق شوقي ضيف، نشر: دار المعارف – مصر الطبعة الثانية١٤٠٠هـ، والتيسير في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) ص ١٩٣،تحقيق: اوتو تريزل ،نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، والنشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ) ، ٢/٣٦٦، تحقيق علي مُحَمَّد الضباع ،طبع دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع.

(٥) انظر مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود، سليمان بن نجاح، الأندلسي، المتوفى سنة (٤٩٦هـ)٤/١٠٨١،نشر: مجمع الملك فهد – المدينة المنورة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

(٦) انظر نفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي المتوفى سنة (١٤٠٣هـ) ، ص ٨٠، ٨٢، تحقيق الدكتور عبد الله الميموني المطري ، طبع دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ

ودلالة هذا الاسم على مقصد السورة ظاهرة في كون الوصف المذكور في قوله تعالى ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: وصف للكتاب الذي أنزله الله على مُحَمَّد ﷺ، وجعله آية صدقه، ومعجزة رسالته التي تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثلها فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء ٨٨] وقال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الفقرة٢٣] كما أن في وصف الكتاب بتفصيل الآيات برهان على أن الغاية من إنزال هذا الكتاب واضحة بينة كوضوح دلالته على صدق من جاء به، فهو وصف مناسب في الاعتبارين.

٢-سورة حم السجدة[١]، وتسميتها بهذا الاسم للفرق بينها وبين أخواتها من السور التي تبدأ ب"حم" لوجود السجدة فيها دونهن[٢].

---

(١)انظر تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى بن مُحَمَّد المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي المتوفى سنة (٣٩٩هـ) ١٤٥/٤، تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومُحَمَّد بن مصطفى الكنز،نشر: الفاروق الحديثة ، مصر، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،والكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي، المتوفى سنة (٤٢٧هـ)٢٨٥/٨، تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور ،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي القيرواني ثم الأندلسي المالكي المتوفى سنة (٤٣٧هـ)٦٤٧٥/١٠، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي ،نشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م،والوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى سنة (٤٦٨هـ)٢٤/٤،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي مُحَمَّد معوض، والدكتور أحمد مُحَمَّد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس ،نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)١٨٤/٤، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ..

(٢) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٢٧/٢٤.

٣-سجدة المؤمن [١]، وسميت بهذا الاسم إضافة لها إلى سورة المؤمن قبلها، تميزا لها عن "الم السجدة"، التي تسمى "سجدة لقمان" لوقوعها بعدها[٢]

ودلالة اسم السجدة على مقصد السورة يمكن أن تستنبط من دلالة معنى السجود على تحقيق الغاية التي من أجلها بعث النبي ﷺ وهي إفراد الله بالألوهية.

٤-سورة المصابيح[٣]،لقوله تعالى فيها: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت ١٢][٤] .

ودلالة هذا الاسم على مقصد السورة بينة من وجهين :

الوجه الأول: ما في معنى المصابيح من النور المناسب لوصف القرآن الذي هو معجزة النبي ﷺ وقد جاء التصريح بأنه نور في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى٥٢].وهو وصف مناسب أيضا لبيان الغاية التي جاءت السورة مبينة لها، وأنها من الوضوح بمكان؛ فرجع معنى المصابيح إلى ما هو قريب من معنى التفصيل المذكور في صدر السورة.

---

(١) انظر النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام لأحمد بن مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكَرَجي القصَّاب المتوفى نحو سنة (٣٦٠هـ) ٢٠٧/٢، تحقيق إبراهيم منصور الجنيدل ،نشر: دار القيم،ودار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، وزاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) ٤٥/٤،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٠٣/٢١،و٢٢٨/٢٤.

(٢) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٢٧/٢٤.

(٣) المصدر السابق، وانظر الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري المتوفى سنة (٤١٠هـ) ص ١٥٣، تحقيق زهير الشاويش، ومُحَمَّد كنعان، نشر: المكتب الإسلامي- بيروت الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ، وجمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الصمد الهمداني علم الدين السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) ص ٩١، تحقيق: د. مروان العطيَّة، ود. محسن خرابة، نشر: دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٢٧/٢٤.

(٤) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور٢٢٧/٢٤.

الوجه الثاني: ما في سياق هذا الوصف الكريم من الدلالة على كمال قدرة الله وبديع صنعه الدال على استحقاقه أن يفرد بالألوهية كما تفرد بالربوبية وهو معنى مناسب لمقصد الرسالة وغايتها.

٥- سورة الأقوات[١]،لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت١٠][٢]

ودلالة هذا الاسم على مقصد السورة يمكن أن تستنبط من بيان كمال قدرة الله في خلق الأقوات وإنعامه بها ومن كان كذلك استحق العبادة لكمال قدرته، وعظيم إنعامه، وتلك هي غاية رسالة النبي ﷺ **المطلب الثالث : فضائل السورة ودلالتها على مقصدها:**، وفيه فرعان:

الفرع الأول : فضائل السورة:

لم أقف على فضل يخص هذه السورة إلا ما روي عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة حم السجدة أعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات"[٣] وثبت أن النبي ﷺ قرأ صدر هذه السورة على عتبة بن ربيعة حين بعثته

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق

(٣) أخرجه الواحدي في الوسيط -(٢٤/٤)- بسنده عن أبي بن كعب ﷺ مرفوعا، وتقدم التنبيه على أن الحديث الذي يروى عن أبي بن كعب ﷺ في فضائل القرآن سورة سورة حديث موضوع، على أن معنى هذا الحديث صحيح في هذه السورة وغيرها من سور القرآن لحديث :"من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "الم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (أخرجه الترمذي في السنن -الجامع الصحيح المسند -، للإمام أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة (٢٧٩هـ) كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، ١٧٥/٥حديث رقم ٢٩١٠، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، طبع شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، وقال : حديث حسن صحيح ، وصححه الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة (١٤٢٠هـ) في صحيح وضعيف سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر ٤١٠/٦حديث رقم ٢٩٢٠، طبع المكتب الإسلامي)

قريش ليفاوض النبي ﷺ على ما يأتي بيانه في المبحث الآتي في نزول السورة، وبعض العلماء يعد في فضائل السور قراءة السورة في وقت ومخصوص، أو مشهد مخصوص(١).

الفرع الثاني: دلالة فضائل السورة على مقصدها:

دلالة فضل هذه السورة على مقصدها بينة في قراءة النبي ﷺ لها على عتبة بن ربيعة(٢)، فإن عتبة جاء يفاوض النبي ﷺ في أمور يتوهم أنها يمكن أن تكون غاية للنبي ﷺ فيما جاء به؛ فبين له النبي ﷺ بقراءة هذه السورة عليه أنه رسول الله حقا، وبرهان رسالته هذا الكتاب الذي جاء به من عند الله، كما بين له الغاية التي من أجلها بعث، وهي إفراد الله بالألوهية، وهذا ظاهر في بيان مقصد السورة لمن تدبره.

المطلب الرابع: نزول السورة ودلالته على مقصدها: وفيه فرعان:

الفرع الأول: نزول السورة:

نزلت سورة فصلت بمكة؛ فعن عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير –رضي الله عنهم–؛ قالا: نزلت سورة حم السجدة بمكة(٣) ، ونقل غير واحد من المفسرين إجماع المفسرين على أنها مكية(٤)،ونزلت بعد سورة غافر، وقبل سورة الزخرف، وعدت الحادية والستين في ترتيب نزول السور(٥)، ولم أقف على رواية صريحة في سبب نزول هذه السورة بكاملها غير أنه ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤١٤/١، ومصاعد النظر للبقاعي ٤٤٥/٢، وقد ساق البقاعي قصة قراءة النبي ﷺ لهذه السورة على عتبة في فضائلها.

(٢) لعله لهذا المعنى ساق البقاعي هذه القصة في حديثه عن فضائل السورة لما لها من أثر في بيان مقصدها (انظر مصاعد النظر للبقاعي ٤٤٥/٢)

(٣) عزا السيوطي إخراجه لابن مردويه (انظر الدر المنثور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)٣٠٨/٧، نشر: دار الفكر – بيروت)، ويعضده ما نقل من الإجماع على نزولها بمكة.

(٤) منهم ابن عطية وابن الجوزي (انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى سنة -(٥٤٢هـ)-٣/٥، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،نشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ وزاد المسير لابن الجوزي ٤ /٤٥).

(٥) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٢٨/٢٤.

وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع، إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل:" وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ[فصلت: ٢٢] الآية "[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ قرأ صدر هذه السورة على عتبة بن ربيعة حين بعثته قريش ليكلم النبي ﷺ ويعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فكان مما قال للنبي ﷺ :" يابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة[2] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم، ودينهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ. قل يا أبا الوليد أسمع، فقال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد شرفا شرفناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه؛ فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به صدرك، فإنكم لعمري يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال رسول الله ﷺ:" بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ

(١) صحيح البخاري،كتاب التفسير، باب ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾[فصلت٢٣]ص٨٥٠، حديث رقم ٤٨١٦، وصحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٢١٤١/٤ حديث رقم ٢٧٧٥.

(٢) السطة: الكرم، والرفعة في المجد ، والشرف في النسب (انظر لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري المتوفى سنة (٧١١هـ)٤٣٠/٧، نشر: دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة–١٤١٤هـ

تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۙ[فصلت١-٣] فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة[١] فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي إني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم"[٢].

---

(١) وفي رواية أنه قرأ عليه حتى انتهى إلى قوله تعالى :﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت ١٣]،فوضع يده على فيّ النبي ﷺ وجعل يناشده الرحم أن يسكت خشية أن ينزل به وبقومه مثل= ما نزل بمن قبلهم من العذاب (انظر الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر، عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان المعروف بابن أبي شيبة المتوفى سنة(٢٣٥هـ) ٣٣٠/٧، برقم ٣٦٥٦٠،تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر:مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، والمستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى سنة (٤٠٥هـ) ٢٨٧/٢برقم ٣٠٠٢، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م، ودلائل النبوة ،لأبي القاسم إسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل بن علي القرشي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة المتوفى سنة (٥٣٥هـ) ص٢١ برقم ٣٠٧، تحقيق: مُحَمَّدمُحَمَّد الحداد ،نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٣١/٧برقم ٣٦٥٤٩، من حديث جابر، وابن إسحاق في السيرة (كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المتوفى سنة (١٥١هـ) ،تحقيق: سهيل زكار ،نشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م من مرسل مُحَمَّد بن كعب، وأخرجه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ص ٢٦٧، =

وفي رواية أن عتبة قال لقريش –بعد أن سمع من رسول الله ﷺ صدر هذه السورة ونفى أن يكون الذي سمع من رسول الله ﷺ شعرا أو سحرا أو كهانة أو جنونا– "..ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته"[(١)].

الفرع الثاني: دلالة نزول السورة على مقصدها:

دلالة نزول هذه السورة على مقصدها ظاهرة في أن هذه السورة نزلت بمكة كما صرح به ابن مسعود وابن عباس ﷺ، وحكى عليه غير واحد من المفسرين الإجماع كما رأيت، وهذا يعنى أن مقصدها لا يخرج عن المقاصد العامة للسور المكية، وهي إثبات نبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ،والدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالألوهية[(٢)]، وهذا المعنى هو المقصد الخاص لهذه السورة كما رأيت، وقراءة النبي ﷺ لهذه السورة على عتبة بن ربيعة ظاهر في ذلك ظهورا بينا لا يحتاج إلى مزيد بيان لوضوحه.

=تحقق: أحمد عصام الكاتب، نشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ، من الطريقين، وصححه الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة(١٤٢٠هـ) في صحيح السيرة النبوية ص١٥٩ ،نشر: المكتبة الإسلامية عمان – الأردن، الطبعة الأولى، وانظر الصحيح من أحاديث السّيرة النبوية لأبي عمر مُحَمَّد بن حمد الصوياني ص١١٢، نشر: مدار الوطن للنشر ،الطبعة الأولى١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥٠/٢، وأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة- (٤٥٨هـ)- في شعب الإيمان٢٨٧/١، برقم ١٣٣، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ،الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، والاعتقاد ص ٢٦٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ،وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري، وانظر الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبد الجبار ص ٢٨٤/١٤،طبع٢٠١٤م.

(٢) انظر الموافقات للإمام الشاطبي ٤١٥/٣.

المطلب الخامس: مطلع السورة ودلالته على مقصدها، وفيه فرعان :

الفرع الأول: مطلع السورة:

مطلع هذه السورة هو قوله تعالى:ﭐحمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ[فصلت١-٦]

الفرع الثاني :دلالة مطلع السورة على مقصدها:

دلالة مطلع هذه السورة على مقصدها ظاهرة من وجوه:

الوجه الأول: افتتاحها بحرف من الحروف المقطعة ﭐحمٓ، وهذه الحروف المقطعة وإن اختلف العلماء في معناها ودلالتها إلا أن الأظهر عند جمع من المحققين أنها اسم من أسماء القرآن الكريم(١) أو قسم بالقرآن الكريم للتنويه بشأنه(٢)، أو إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم(٣)؛ فكأن الله يقول لهم إن هذا الكتاب الذي عجزتم عن أن تأتوا بسورة من مثله إنما تأليفه من حروفكم التي بها تأليف كلامكم، وهذا المعنى بين الدلالة على مقصد السورة من حيث إن مقصدها بيان معجزة النبي ﷺ الدالة على صدق رسالته.

الوجه الثاني: التنويه بالقرآن الكريم، وبيان إعجازه في مطلع السورة في قوله تعالى:ﭐ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ[فصلت ٢-٣] وقد ذكر الإمام القرطبي الخلاف في متعلق فعلﭐيَعۡلَمُونَ وختم بقول من

(١) هذا القول أخرجه الطبري في جامع البيان –(٢٠٥/١)- عن قتادة ، ومجاهد، وابن جريج.

(٢) هذا القول أخرجه الطبري في جامع البيان-(٢٠٧/١)- عن ابن عباس- ﷺ-، وعكرمة.

(٣) ذكر الرازي في مفاتيح الغيب –(٢٥٣/٢)- أن هذا القول قول جمع من المحققين، وانظر النكت والعيون للماوردي ٦٥/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٥/١.

قال:"يعلمون: العربية فيعجزون عن مثله، ولو كان غير عربي لما علموه" ثم قال:-القرطبي- :قلت: هذا أصح، والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في إعجاز القرآن"[1].

الوجه الثالث: التصريح في أول السورة بغاية الرسالة في قوله تعالى:ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ [فصلت ٦]، وفي هذا أبلغ الرد على عتبة بن ربيعة في تردده في شأن رسالة النبي ﷺ وغايتها؛ فبين له النبي ﷺ بقراءة صدر هذه السورة صدق رسالته، والغاية التي من أجلها أرسل، وأنه ﷺ لم يأت لشيء مما عرضه عليه عتبة من متاع وجاه دنوي، وإنما جاء ليفرد الله سبحانه وتعالى بالألوهية.

المطلب السادس: ختام السورة ودلالته على مقصدها، وفيه فرعان:

الفرع الأول: ختام السورة:

ختمت هذه السورة بقوله تعالى:ۚ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۗ [فصلت ٥٢-٥٤]

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/٣٣٨.

الفرع الثاني: دلالة ختام السورة على مقصدها:

العود على البدء من محاسن البلاغة وروائع البيان، وقد ختمت هذه السورة بمثل ما به بدئت من ذكر دلائل النبوة، وغاية الرسالة، فقد بدأت السورة بالتنويه بشأن القرآن الكريم، وبينت إعراض المشركين عنه رغم دلالته القاطعة على صدق من جاء به قال تعالى: ﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[فصلت١-٥] ، ثم ختمت بذم المعرضين الكافرين ذما لا يخلوا من تهديد ووعيد على تكذيبهم وإعراضهم.

وقد أجاد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في ربط هذا الختام بالمطلع، وبيان دلالة ذلك على مقصد السورة فقال:" فهذا انتقال إلى المجادلة في شأن القرآن رجع به إلى الغرض الأصلي من هذه السورة وهو بيان حقيقة القرآن وصدقه، وصدق من جاء به، وهذا استدعاء ليعملوا النظر في دلائل صدق القرآن مثل إعجازه ،واتساقه، وتأييد بعضه بعضا"[(١)].

وقد بدأت هذه السورة باسمين من أخص أسماء القرآن الدالة على حفظه وإعجازه وهما: الكتاب، والقرآن[(٢)]: فقال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا

(١) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٦/٢٥، وانظر مفاتيح الغيب للرازي ٥٧٣/٢٧.

(٢) قال الدكتور محمد عبد الله دراز-في معرض حديثه عن تعريف القرآن وأسمائه-:"روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في الصدور والسطور جميعا، وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر ٩]،ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند"(النبأ العظيم النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم للشيخ الدكتور محمد بن عبد الله دراز المتوفى سنة (١٣٧٧هـ) ص ٤١-٤٢، نشر دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

عَرَبِيًّا [فصلت٣]، وختمت بضمير القرآن في قوله: ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ [فصلت٥٢]،وقوله: حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ [فصلت٥٣]،وفي ذلك من كمال الاتصال وعود الختم على المطلع – على بعد ما بينهما – ما لا يكون مثله إلا لهذا الكتاب المعجز، الدال على صدق من جاء به ﷺ، واستحقاق من أرسله به أن يفرد بالألوهية، وقوله : سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ [فصلت٥٣] دليل قاطع على أن هذا الكتاب الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، وأن الله سيري الكافرين به برهان ذلك حتى يتضح لهم أنه الحق، وكفى بالله شهيدا على ذلك لو أخبر به خبرا مجردا، فكيف ودلائل الإعجاز قائمة على صدقه؟!.

ويرى كثير من المفسرين أن تلك الآيات التي وعد الله بأن يريهم إياها حتى يتبينوا بها أنه الحق هي ما كتب الله لهذا الدين من الظهور، والغلبة، والانتشار؛ فيظهر عليهم فيغلبون، أو يسلمون، وينتشر في الآفاق حتى يتضح لهم أنه الحق، وقد تحقق ذلك حتى بلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار؛ فكان ذلك من الإعجاز الغيبي لهذا الكتاب الذي أرسل الله به رسوله ﷺ(١).

ويرى آخرون أن المراد بآيات الأفاق والأنفس ما أبدع الله في الكون وفي خلق الإنسان من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته، وصدق ما جاء به القرآن من ذلك، وهذا القول صدر به فخر الدين الرازي القولين في تفسير الآية فقال :"وفي تفسير قوله: سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ قولان:

(١)انظر جامع البيان للطبري٢١/٤٩٣، والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٣/٥،والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٨/٢٥.

الأول: أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار..، وقد أكثر الله منها في القرآن، وقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ المراد منها: الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام، وحدوث الأعضاء العجيبة، والتركيبات الغريبة، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، يعني نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى إلى أن تزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم المنزه عن المثل والضد.

والقول الثاني: أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة، وبآيات أنفسهم فتح مكة"[(١)].

ولا منافاة بين المعنيين فقد أراهم الله ذلك كله؛ فنصر عبده، وأعز دينه وأظهره على الدين كله، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[التوبة ٣٣، والصف ٩]،وأراهم من آيات الآفاق والأنفس ما علموا به صدق مُحَمَّد ﷺ فيما أخبر به، واستحقاق من أرسله أن يفرد بالألوهية، بل إن الإعجاز العلمي اليوم لا يخرج في مضمونه عن آيات الآفاق والأنس، وفي دخول السين على الفعل المضارع في قوله:﴿سَنُرِيهِمۡ﴾ من الدلالة على الاستقبال ما يعلم به أن ذلك أمر مستمر[(٢)]، قد يظهر للناس منه اليوم ما لم يكن ظاهرا بالأمس، وقد يظهر لهم منه في غد ما لم يكن اليوم ظاهرا، فسبحان من أنزل هذا القرآن وجعله آية آخر رسالاته الناطقة بصدق من جاء به ﷺ ،واستحقاق من أنزله أن يفرد بالألوهية.

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٥٧٤/٢٧. بتصرف للاختصار، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٤/١٥،

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي ٥٧٤/٢٧.

المطلب السابع: التكرار في السورة ودلالته على مقصدها: وفيه فرعان :

الفرع الأول: تكرار الألفاظ والموضوعات الدالة على مقصد السورة:

تقدم لنا أن مقصد السورة هو التنويه بمعجزة رسالة النبي ﷺ وهي القرآن الكريم، وبيان غاية الرسالة وهي توحيد الله، وقد تكرر الحديث عن هذين الأمرين في السورة وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: تكرار الحديث عن القرآن :

تكرر الحديث عن القرآن الكريم باسمه، ووصفه، وضميره في هذه السورة في آيات عدة منها:

١- قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[فصلت ٢-٣] فوصف القرآن هنا بأنه: تنزيل من الرحمن الرحيم، وأنه كتاب فصلت آياته، وأنه قرآن عربي.

2- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[فصلت٢٦]، فذكر القرآن هنا باسمه المعرف مع الإشارة إلى أنه سر غلبة المؤمنين به، ومصدر هزيمة وخذلان الكافرين به والمعرضين عنه.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[فصلت٤١-٤٢]،فوصف القرآن هنا بأنه ذكر، ووصف وصفا مؤكدا بأنه كتاب وعزيز، وأنه منزه عن الباطل من بين يديه ومن خلفه، وتنزيل من حكيم حميد.

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ

بَعِيدٍ﴾ [فصلت ٤٤]، فوصف القرآن هنا بأنه عربي غير أعجمي، وأنه هدى، وشفاء للمؤمنين، وصمم وعمى للمعرضين عنه المكذبين به.

٥-قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت ٥٢-٥٣]، فأتى في الآيتين بضمير القرآن في قوله: ﴿كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ، وقوله: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾

ثانيا: تكرار الحديث عن الألوهية:

تكرر الحديث عن الألوهية في هذه السورة في مواضع متعددة منها:

١-قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾[فصلت٦]فأخبر أن غاية الموحى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تحقيق الألوهية بتوحيد الله، والاستقامة على دينه، والاجتهاد في طلب مغفرته.

٢-قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾[فصلت١٣-١٤]،فبين أن الدعوة إلى عبادة الله هي غاية كل الرسالات وليست رسالة النبي ﷺ بدعا في ذلك.

٣-قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت٣٧]، فنهى عن السجود لغير الله، وأمر بالسجود لله وحده.

الفرع الثاني : دلالة التكرار في السورة على مقصدها:

تكرر الحديث عن القرآن الكريم والألوهية تكررا لافتا في مواضع متعددة ومتفرقة من هذه السورة –كما رأيت– مما يدل دلالة ظاهرة على أن الحديث عن القرآن الكريم والألوهية مقصد لهذه السورة، شأنها في ذلك شأن من يبدأ الحديث عن الأمر ويستطرد فيما له به علاقة ثم يعود إليه أكثر من مرة فيدل عوده إليه أكثر من مرة على أنه الغاية التي يسعى إليها، والمقصد الذي يسوق الكلام لأجله.

المطلب الثامن : مقصد السورة عند العلماء الذين لهم اعتناء ببيان مقاصد السور:

اختلفت عبارات العلماء الذين لهم عناية ببيان مقاصد السور في مقصد هذه السورة، فرأى الإمام البقاعي أن مقصود هذه السورة هو: الإعلام بأن العلم هو ما اختاره الله من شرعه الذي أوحى به إلى أنبيائه، وذلك العلم هو الحامل على الإيمان بالله، والاستقامة على طاعته[1] .

ويرى مُحَمَّد الطاهر بن عاشور أن أغراض هذه السورة هي : التنويه بالقرآن، وإبطال مطاعن المشركين فيه، وزجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والأرض، وإنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا، ووعيدهم بعذاب الآخرة، وأمر النبي ﷺ بدفعهم بالتي هي أحسن، وذكر دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة، ودلائل إمكان البعث، وأنه واقع لا محالة ، وتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي، وبالبشارة للمؤمنين، وتخلل ذلك أمثال مختلفة في ابتداء خلق العوالم، وعبر في تقلبات أهل الشرك، والتنويه بإيتاء الزكاة[2] ،وهذا الذي ذكره بيان لأغراض السورة، وتلخيص لأبرز موضوعاتها، وقد قدمنا في مطلب الضوابط المنهجية للبحث في مقاصد السور القرآنية الفرق بين المقاصد والموضوعات وإن كانت الأغراض والموضوعات معينة على معرفة المقصد وملاحظته.

ويرى سيد قطب: أن هذه السورة تعالج قضية العقيدة بحقائقها الأساسية: الألوهية الواحدة، والحياة الآخرة، والوحي بالرسالة، يضاف إليها قضية الدعوة إلى الله، وخلق الداعية، وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق[3] ،ويقال في هذا ما قيل في الذي قبله فهو بيان لأبرز موضوعات في السورة لا مقصدها.

---

(١) انظر مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٤٤٣/٢.

(٢) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢٤

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة (١٣٨٦هـ) ٣١٠٥/٥، طبع دار الشروق ، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٨هـ.

المطلب التاسع: ربط موضوعات السورة بمقصدها:

تنقسم موضوعات هذه السورة بحسب دلالتها على مقصدها- إلى موضوعات صريحة في الدلالة على المقصد، وموضوعات ذات علاقة بالمقصد بعضها أظهر في ذلك من بعض، وحفاظا على نظم السورة وسياقها فقد رأيت أن أقسم السورة إلى مقاطع بحسب ترتيب آياتها مبينا بعد كل مقطع منها دلالته على مقصد السورة وذلك على النحو التالي:

المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿حٰمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾[فصلت١-٨]

فاتحة هذا المقطع إلى قوله: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، صريحة في الدلالة على المقصد ؛لأنها تنويه بشأن القرآن الكريم لبيان دلالته على صدق النبي ﷺ إذ هو معجزة رسالته على ما تقدم بيانه في دلالة مطلع السورة على مقصدها.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ بيان لموقفهم من القرآن حين قابلوه بالإعراض، وسد منافذ تدبره المفضي إلى فهم حججه[1] وبراهينه؛ فعلى القلوب أغطية تحول دون فهم القرآن، وفي الآذان صمم وثقل يمنع سماعه، ودون رؤية الرسول ﷺ وما جاء به عن الله حجاب يحول دون الرؤية والفهم

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢١/٤٢٨.

بالإشارة مبالغة في سد كل منافذ الفهم [1] ؛"فأعرض أكثر هؤلاء عما في القرآن من الهدى فلم يهتدوا، ومن البشارة فلم يعنوا بها، ومن النذارة فلم يحذروها"[2]

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ استئناف فيه بيان غاية الرسالة، وأن الوحي الذي أعرضوا عنه إنما غايته توحيد الله، والاستقامة على دينه وطلب مغفرته.

وقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ بيان لعاقبة من أعرض، ومن آمن ؛ فللمعرض المشرك بالله الكافر برسالاته وأحكامه وجزائه الويل والثبور، وللمؤمن المطيع لأمر الله الأجر الكامل الذي لا انقطاع له[3]، فعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة ظاهرة من حيث النص على المقصد في أول المقطع وبيان جزاء من آمن وكفر ترغيبا وترهيبا.

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[فصلت٩-١٢]، في هذه الآيات الكريمة صور من مشاهد الكون الدالة على قدرة من خلقه، وأبدعه، وجعل فيه من المنافع ما يستدعي أن يوحد خالقه، ويفرد بالألوهية كما

(١) انظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٧/٥٤٠، ونظم الدرر للبقاعي ١٧/١٤٢.

(٢) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٢٣١.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية٥/٥.

تفرد بالخلق والإنعام، وتلك هي غاية رسالة النبي ﷺ ، ففيها عود إلى "إرشادهم إلى الحق على طريقة الاستفهام عن كفرهم بالله، مدمجا في ذلك تذكيرهم بالأدلة الدالة على أن الله واحد، بطريقة التوبيخ على إشراكهم به في حين وضوح الدلائل على انفراده بالخلق، واتصافه بتمام القدرة والعلم"(١)؛فعلاقة هذه الآيات الكريمة بمقصد السورة بينة من هذا الوجه، كما أنها بينة من وجه آخر وهو العطف بالآيات الكونية المشهودة على الآيات القرآنية المقروءة لتتعاضدا معا على تحقيق غاية الرسالة.

المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت١٣-١٨]، بينت هذه الآيات الكريمة عاقبة المعرضين عن رسالات الله، المكذبين لرسله، المتكبرين عن عبادته، كما بينت نجاة المؤمنين المتقين.

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة ظاهرة في إثبات نبوة النبي ﷺ، وبيان غاية رسالته فليس النبي ﷺ بدعا من الرسل، وليست أمته بدعا من الأمم، ولا غاية ما يدعو إليه من توحيد الله بدعا في الدعوات، بل كانت قبله أمم جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم آمرة بتوحيد الله، وهذا المعنى بين في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ

(١) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٤١/٢٤.

صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ وفي المقطع الكريم بيان لأسباب التكذيب، وعاقبة المكذبين في العاجل والآجل ، فبينت الآيات أن من أسباب التكذيب :الكبر، والجحود، واستبعاد أن يرسل الله بشرا، وتقديم الضلالة على الهداية، وهي أسباب ترجع إلى المكذبين لا إلى الرسل وما جاءوا به من البينات، وبينت عاقبة المكذبين في الدنيا مع التنبيه على أن ما ينتظرهم في الآخرة من العذاب أشد وأخزى، وختم المقطع الكريم بنجاة المؤمنين المتقين، إقامة للحجة على المكذبين بوجود من آمن وامتثل ، وليكون كل امرئ على بصيرة من أمره[1].

المقطع الرابع: قوله تعالى:ٌ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ [فصلت١٩-٢٥]، هذا المقطع وثيق الصلة بالمقطع الذي قبله فإنه سبحانه وتعالى "لما فرغ من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة من قبلهم، وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا كما حل بأولئك ليكون لهم ذلك عبرة.. انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة فجملةٌ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ الآيات، معطوفة على جملةٌ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ

(١) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٢٥٢.

صَٰعِقَةً الآيات"[١]،بل يمكن القول إن هذا المقطع بيان لما أجمل في المقطع السابق من خزي عذاب الآخرة في قوله تعالى: ۞وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ ، وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة كالذي قبله من حيث إن الحق قد اتضح، والغاية من الرسالة قد بينت، فلم يبق إلا العمل والجزاء ؛فمن أعرض فله العذاب والخزي في الدنيا والآخرة، وشأن العاقل الاتعاظ بحال من كان قبله رغبة ورهبة، وقد بين ذلك كله أحسن بيان ليكون دافعا لتحقيق مقصد السورة في إثبات صدق نبوة النبي ﷺ وتحقيق غاية رسالته في أن يعبد الله وحده ويفرد بالألوهية كما تفرد بالربوبية.

المقطع الخامس: قوله تعالى:۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ۞ [فصلت٢٦-٢٩] ،هذا المقطع الكريم وثيق الصلة بالمقطعين السابقين، من حيث ذكر أسباب الكفر وجزاء أهله، فبدأ بتواصي القوم على عدم سماع القرآن، وباللغو فيه حتى لا يسمعه من يتأثر به، إعراضا منهم عن آيات القرآن وجحدا لبراهينه[٢]،رجاء أن تكون لهم الغلبة بطمس أمر النبي ﷺ وإماتة ذكره وصرف القلوب عنه[٣] ؛فكانوا بذلك أعداء لله محاربين لدينه، فلهم ما لأعداء الله من العذاب الأليم في نار جهنم خالدين فيها يتمنى بعضهم لبعض أشد العذاب وأحقره.

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة بينة من حيث إنه بدأ بذكر نهي الكافرين بعضهم بعضا عن سماع القرآن وتواصيهم على اللغو فيه "شهادة منهم على أنفسهم بالانقطاع عن

(١) المصدر السابق ٢٦٤/٢٤بتصرف يسير للاختصار.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ١٧٤/٧.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٣/٥.

معارضته، وتسجيلهم بقوة عارضته"[1]، فدل ذلك على أنه آية صدق النبوة التي عجزوا عن الإتيان بمثلها، واستشعروا الهزيمة أمام حججها وبراهينها، فتواصوا على الإعراض عنها، واللغو فيها عسى أن تكون لهم الغلبة فلم يظفروا إلا بخزي الدينا وعذاب الآخرة.

المقطع السادس: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾[فصلت ٣٠-٣٢] ،لما ذكر الله سبحانه وتعالى حال المشركين في تكذيبهم وإعراضهم عما جاءهم به رسول الله ﷺ من البينات والهدى، وما دعاهم إليه من توحيد الله، وما أصابهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة جزاء كفرهم وإعراضهم -ذكر حال المؤمنين الذين آمنوا بالله ربا لا شريك له، واستقاموا على توحيده وطاعته، فبين أن الملائكة تتنزل عليهم مطمئنة لهم، ومبشرة بعظيم ثواب الله الذي ينتظرهم ﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ﴾ غفر لهم السيئات، ﴿رَّحِيمٖ﴾ تقبل منهم الطاعات وأجزل لهم المثوبة[2].

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة ظاهرة من جهين :

الوجه الأول: أن الذين آمنوا حققوا بإيمانهم وتوحيدهم لله واستقامتهم على طاعته مقتضى صدق الرسالة وغايتها التي هي إفراد الله بالألوهية كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾[فصلت٦]؛ فكان إيمانهم واستقامتهم حجة على من أعرض واستكبر ولم يؤمن من المشركين بطريق التعريض[3]

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٧/١٤٠.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٤٨.

(٣) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٢٨٢.

الوجه الثاني: أن في بيان جزاء المؤمنين الترغيب في الإيمان برسالة النبي ﷺ وتحقيق غايتها التي هي إفراد الله بالألوهية، ومجيء ذلك بعد جزاء من كفر وأعرض فيه الجمع بين الترغيب والترهيب، وهو أبلغ في استمالة النفوس البشرية لتنوع أصحابها رغبة ورهبة.

المقطع السابع: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت ٣٣-٣٦]، هذا المقطع وثيق الارتباط بالذي قبله، و"الأظهر أنه تكملة للثناء على الذين قالوا ربنا الله، واستقاموا.. وذكر هذا الثناء عليهم بحسن قولهم عقب ذكر مذمة المشركين ووعيدهم على سوء قولهم: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[فصلت:٢٦]، مشعر لا محالة بأن بين الفريقين بونا بعيدا، طرفاه: الأحسن المصرح به، والأسوأ المفهوم بالمقابلة، أي فلا يستوي الذين قالوا أحسن القول، وعملوا أصلح العمل مع الذين قالوا أسوأ القول، وعملوا أسوأ العمل"(١)، فلا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا، وكان الإسلام شعاره، وعنوان انتمائه، ومن كانت تلك حاله أوذي وعودي – على أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسدي الخير- فهو مأمور بالدفع بالتي هي أحسن، فإن ذلك أذهب لما في الصدور من العداوة، وأدعى لقلب العداوة محبة، وليكن الصبر على العمل الصالح والدفع بالتي هي أحسن زاده، فإن وسوس له الشيطان وزين له خلاف ذلك فليستعذ بالله من شره(٢).

(١) انظر المصدر السابق ٢٤/٢٨٧ بتصرف للاختصار.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ٤/٥٩٢.

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة ظاهرة في أنه ﷺ يدخل في هذا المعنى دخولا أوليا- وإن كان الخطاب عاما في كل من دعا إلى الله وعمل صالحا، ودفع السيئة بالحسنة، وصبر على ما يلاقي من الأذى في سبيل دعوته- فلا قول أحسن من القرآن الذي جاء به، والغاية التي من أجلها أرسل، وإن أعرض عن ذلك المشركون، وتواصوا على عدم سماعه، واللغو فيه، وأذية من يدعو إليه.

المقطع الثامن : قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت٣٧-٤٠]،هذا المقطع معطوف على ما تقدم في بداية السورة من التنويه بشأن آية القرآن الكريم، وذكر آية خلق السموات والأرض وما فيهما، فهو من "عطف القصة على القصة؛ فإن المقصود من ذكر خلق العوالم أنها دلائل على انفراد الله بالإلهية، فلذلك أخبر هنا عن المذكورات في هذه الجملة بأنها من آيات الله انتقالا في أفانين الاستدلال ؛ فإنه انتقال من الاستدلال بذوات من مخلوقاته إلى الاستدلال بأحوال من أحوال تلك المخلوقات، فابتدأ ببعض الأحوال السماوية وهي حال الليل والنهار، وحال طلوع الشمس وطلوع القمر، ثم ذكر بعده بعض الأحوال الأرضية"[1]، وتخلل ذلك التنويه بعبادة الملائكة إلهابا للمسلمين، وتقريعا للكافرين المستكبرين، والله سبحانه وتعالى غني عن العالمين.

(١) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور٢٤/٢٩٨.

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة تظهر من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: ما فيه من العطف على ما تقدم في بداية السورة من آية القرآن، وخلق السموات والأرض وما فيهما، وما يستلزمه ذلك من صدق النبوة وتحقيق غاية الرسالة بتوحيد الله، فإن الذي أنزل القرآن آية وخلق السموات والأرض هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وأحيا الأرض بعد موتها، وجعل ذلك آية دالة على البعث والجزاء فلتكن العبادة له وحده.

الوجه الثاني: ما في دلالة التكرار على تعدد الآيات وتنوعها من إقامة الحجة بتنوع الأساليب، وملاحقة النفس من كل مداخلها ومساربها حتى تذعن فتسلم، أو تكفر جحودا وعنادا واستكبارا بعد قيام الحجة القاطعة ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖۖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾[الأنفال٤٢].

الوجه الثالث: ما في هذه الآيات من دلائل كمال القدرة، وعظيم النعمة؛ فاختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، آية من آيات القدرة الدالة على انفراد الله بالصنع فهو منفرد بالإلهية(١)، وقد جعل الله في هذه الآيات من المنافع ما لا قيام للحياة إلا به كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[القصص٧١-٧٣].

وفي آية إنزال الماء وإحياء الأرض بعد يبسها وجفافها من كمال القدرة وعظيم النعمة ما لا يخفى فكان المتفرد بذلك – وهو الله سبحانه وتعالى- هو الحري أن يفرد بالألوهية لجلاله

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٥٩٢/٤.

وكمال قدرته، وعظيم نعمته، وإفراد الله بالألوهية هو غاية الرسالة التي تنوعت لها الدلائل والبراهين من الآيات المتلوة والمشاهدة.

المقطع التاسع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[فصلت ٤١-٤٤]،هذا المقطع مرتبط في المعنى بالمقطع الذي قبله متصل به، حيث" أعقب تهديدهم على الإلحاد في آيات الله على وجه العموم بالتعرض إلى إلحادهم في آيات القرآن، وهو من ذكر الخاص بعد العام للتنويه بخصال القرآن، وأنه ليس بعرضة لأن يكفر به، بل هو جدير بأن يتقبل بالاقتداء، والاهتداء بهديه"(١)

والمعنى :أن القرآن الكريم جدير بأن يؤمنوا به، ومع ذلك كفروا مع أنه ذكر، عزيز، منيع، لا يأتيه الباطل من أي جهة، ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ﴾ أحكم مبانيه ومعانيه، ﴿حَمِيدٖ﴾ حري أن يحمد على ذلك وتشكر نعمته، ثم سلى النبي ﷺ في تكذيب قومه له بأن تلك سنة المكذبين للرسل من قبله، وأن هذا القرآن لو كان بغير لسانهم لعاندوا وطلبوا أن يكون بلسانهم، فما بالهم يكفرون به وهو بلسان عربي مبين، وهو هدى وشفاء للمؤمنين، ووقر وعمى على المكذبين المعاندين لبعدهم عن الإيمان به والاهتداء بهديه(٢).

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة ظاهرة بينة من أربعة وجوه:

(١) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور٢٤/٣٠٥.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/١٨٣.

الوجه الأول: ما في هذا المقطع من تكرار التنويه بالقرآن الذي بدأت به السورة، وقد تقدم لنا في مبحث دلالة التكرار على المقصد أن تكرار الموضوع يدل على أنه مقصد للمتكلم يبدأ به ويستطرد ثم يعود إليه.

الوجه الثاني: أن القرآن الكريم وصف هنا بأوصاف كلها كمال وتعظيم، فوصف بأنه ذكر، أي تذكير من الغفلة، وتعليم من الجهالة ورفعة من الضعة، وهو ﴿عَزِيزٌ﴾ أي نفيس، حري أن يؤخذ به ولا ينبذ، منيع يغلب ولا يغلب، تحدى الناس أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، ومنزه عن الباطل فلا يتطرق إليه الباطل بحال، وهو ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ ،لا تصدر عنه إلا الحكمة، وكلامه محكم المباني والمعاني، متقن رصين، ﴿حَمِيدٍ﴾ مستحق للحمد، وكلامه محمود يدعو إلى كل خير وصلاح[١]،"وفي إجراء هذه الأوصاف إيماء إلى حماقة الذين كفروا بهذا القرآن، وسفاهة آرائهم ؛ إذ فرطوا فيه، ففرطوا في أسباب فوزهم في الدنيا وفي الآخرة"[٢]؛ فدلت هذه الأوصاف على أنه آية الرسالة، ودليل صدق النبوة، حري أن يصدق من جاء به ويفرد بالألوهية من أنزله.

الوجه الثالث: تسلية النبي ﷺ بأن ما ناله من التكذيب والأذى قد قيل للرسل من قبله[٣]، وأن آية الرسالة بينة واضحة بلسان عربي مبين، ولو كانت بلسان أعجمي لطلبوا أن تكون بلسانهم، وقد نزلت بلسانهم فلم يؤمنوا كفرا وعنادا[٤].

الوجه الرابع: أن الذين آمنوا كان القرآن لهم هدى وشفاء، به صلاح حالهم في الظاهر والباطن، والعاجل والآجل، وأما الذين كذبوا فهو في آنهم وقر، وهو عليهم عمى ؛لأنهم أعرضوا عنه وسدوا منافذ الاهتداء به: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[فصلت ٥]

(١) انظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٣٠٨-٣٠٩.

(٢) المصدر السابق٢٤/٣٠٩.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٠، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٤/٣٠٩-٣١٠.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢١/٤٨١، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور٢٤/٣١٢.

المقطع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت ٤٥-٥١]، هذا المقطع وثيق الصلة بالمقطع الذي قبله فقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه ما يقال له إلا الذي قيل للرسل من قبله، وفي التعبير بالموصول في الآية دلالة على أن الذي قيل له يشمل موضوع الرسالة، وغايتها التي هي توحيد الله الذي جاء منصوصا في صدر السورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت ٦]،وتلك غاية دعوة كل رسول قبله كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء٢٥]، وقد اختلفت الأمم من قبله على الرسل فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، وأوذوا في ذات الله، فلا غرو أن يختلف قومك في أمرك فيؤمن بعضهم ويكفر بعضهم، وينالك من أذاهم مثل ما نال الرسل من قبلك، ومن أقربهم منك في ذلك موسى عليه السلام فقد أوتي الكتاب فاختلف فيه كما اختلف عليك، فلك فيه أسوة ولقومك في قومه عبرة[1]،ثم أخبر سبحانه تعالى -ترغيبا وترهيبا ونصحا- أن من آمن

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢١.

وعمل صالحا من هذه الأمة أو من قبلها من الأمم فعمله له، ومن أساء فإساءته عليه، والله سبحانه وتعالى حكم عدل لا يظلم أحدا من عبيده، ثم بين سبحانه وتعالى أن علم الساعة وما يكون فيه من الثواب والعقاب مرجعه إليه، وأن علمه أحاط بكل شيء، فيعلم ما تخرج الثمرات من أكمامها، وما تخفى الأرحام وتضع، وأن الأنداد التي تعبد من دونه لن تنفع أصحابها أحوج ما يكونون إليها، وما لهم عن أخذ الله من ملجأ ولا نصير [١]، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن طبيعة الإنسان في حبه للخير من مال وولد ومتاع، وحرصه على ذلك، وجزعه وقنوطه عند مس الشر، ومع ذلك لا يعترف لله بالنعمة ابتداء، ولا بنعمة الاستجابة له في رفع ما يمسه من الشر، بل يظن أن الخير من كسبه فيزداد بذلك طغيانا ويرى أن له عند الله يوم القيامة — مع شكه في مجيئه- ما هو أفضل ظنا منه أن الإنعام الدنيوي دليل كرامته عند الله، ولكن الله سبحانه تعالى سيجزيه بما عمل ويذيقه العذاب الأليم الشديد [٢]

وعلاقة هذا المقطع بمقصد السورة تتجلى من أربعة وجوه:

الوجه الأول: أن الله ضرب مثلا بموسى وأمته لرسول الله ﷺ وأمته فقد أنزل على مُحَمَّد ﷺ القرآن فاختلف الناس فيه، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام فآمن بعض قومه، وكفر بعضهم، فلتكن لك في موسى عليه السلام أسوة، ولقومك في قومه عبرة حيث أنجى الله من آمن منهم، وأهلك من كفر.

الوجه الثاني: التصريح بمبدأ الجزاء الذي يدل على قيام الحجة، ووضوح الغاية، والحجة في هذه السورة هي معجزة النبوة، والغاية توحيد الله سبحانه وتعالى، فلم يبق إلا العمل والجزاءُ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ.

الوجه الثالث: بيان حال المشركين يوم القيامة حين يطلب منهم إحضار من أشركوا مع الله فيضل عنهم ولم يجدوا له نفعا ولا عن عذاب الله ملجأ، وفي ذلك وعيد لهم لعلهم يرجعون عن شركهم، وغيهم، فيحققون توحيد الله الذي هو غاية رسالة النبي ﷺ ورسالات الرسل من قبله.

الوجه الرابع :بيان الدواعي التي كان ينبغي أن تكون سببا للإيمان من كمال قدرة الله، وواسع علمه، وعظيم نعمه، فجعلها القوم سببا للكفر برسالة النبي ﷺ مع وضوح آيتها،

(١) المصدر السابق

(٢) انظر تيسر الكريم الرحمن للسعدي ٧٥٢.

وبيان غايتها، وتلك سنة للكافر حين يجعل النعم سببا للكفر والإعراض: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾

المقطع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت٥٢-٥٤]، هذا المقطع فيه من حسن البيان ودلائل الإعجاز في العود على البدء ما لا يحتاج معه إلى كبير عناء في الكشف عن دلالته على مقصد السورة، حيث ختمت السورة بالحديث عن القرآن، وحال المكذبين به المعرضين عن الغاية التي من أجلها نزل، وهو ما بدأت به السورة، على ما تقدم بيانه في مبحث دلالة ختام السورة على مقصدها.

وفي ختم السورة بالتذكير بلقاء الله الذي يمتري فيه المكذبون والخبر المؤكد بإحاطة الله بكل شيء –من حسن الختام بالترغيب الترهيب ما يعجز عن مثله البلغاء؛ فقد دلت السورة بكل موضوعاتها على صدق رسالة النبي ﷺ، ووضوح الغاية التي أرسل من أجلها وهي توحيد الله تعالى وإفراده بالألوهية، وتبين ما للمؤمنين الصادقين، وما للمعرضين المكذبين فلم يبق إلا الاستعداد للقاء الله وهو بكل شيء محيط أحاط بطاعة المؤمن، وعصيان الكافر وسيجازي كلا على عمله، فمن عمل صالحا فلنفسه، والله محيط بعمله وسيثيبه عليه أعظم الثواب وأحسنه، ومن أساء فإساءته على نفسه والله محيط بها وسيجزيه بما يجزي به المكذبين المعرضين من العذاب الغليظ نسأل الله السلامة العافية.

الخـــاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإني أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما يسره لي من إتمام هذا البحث، الذي أرجو أن أكون وقد وفقت فيه إلى ما إليه قصدت من المساهمة في بناء منهجية علمية واضحة في ضوابطها وخطواتها، محكمة في بيانها، وتأصليها، تكون عونا -بإذن الله- للباحثين في المقاصد القرآنية.

وأختم هذا البحث بأبرز النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي أوصي بها، وذلك على النحو التالي:

أولا: النتائج:

لقد توصلت من خلال هذا البحث وما عانيته في جمع مادته وتقريبها وتهذيبها إلى نتائج يمكن إجمالها فيما يلي :

١-أن علم مقاصد سور القرآن الكريم علم شريف القدر، عظيم الفائدة، بعيد الغور، دقيق المسلك.

٢-أن البحث عن مقاصد السور القرآنية يحتاج إلى ضوابط علمية، وخطوات منهجية تسهل الوصول إليه بعد عون الله وتوفيقه.

٣-أن اتساق الموضوعات وترابطها ومناسبتها لمقصد السورة الذي هو محورها على وجه لا ينتظم مثله لبشر مهما أوتي من الفصاحة والبيان -مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم الدالة على أنه كلام الله حقا، وأنه آية النبي ﷺ الناطقة بصدق رسالته، وسمو غايتها في أن يفرد بالألوهية كما تفرد بالربوبية.

٤-أن التناسب الكمي للموضوعات في السورة سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم؛ فقد بُيّن المقصد بذكر دلائل النبوة، ومقتضيات غاية الرسالة، وضربت الأمثال، وقص من أحوال الأمم مع الأنبياء ما فيه عبرة ومزدجر، كل ذلك بإيجاز وتناسب مع حجم السورة على وجه فيه من الإشارة إلى إعجاز القرآن، والتحدي به مثل ما جاء منطوقا في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟

بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء ٨٨].

٥-أن المنهجية المقترحة للكشف عن مقاصد السور منهجية واقعية، ممكنة التطبيق، وليست ضربا من التنظير كما يوضحه النموذج التطبيقي على سورة فصلت في هذه الدراسة.

٦-أن العيش في رحاب السور القرآنية للكشف عن مقاصدها وما يتطلبه ذلك من تأمل وتدبر من أعظم السبل الموصلة -بإذن الله- إلى فهم القرآن الكريم فهما عميقا يجلي غاياته ويبين هداياته.

ثانيا: التوصيات:

هناك جملة من التوصيات التي تخص سياق هذا البحث أرجو أن ينتفع بها من يطلع عليها من الباحثين، وطلبة العلم بعامة، وطلبة التفسير وعلوم القرآن على وجه الخصوص ، وأبرز تلك التوصيات أوجزها فيما يلي:

١- الاعتناء ببناء الأهلية العلمية التي تمكن من النظر في القرآن الكريم، وتساعد على إدراك مقاصده، وأسرار هداياته.

٢- الصبر على جرد مطولات التفسير ؛ فإن فيها من كنوز العلم وبيان مقاصد القرآن الكريم وأسرار إعجازه وهداياته ما لا يوصل إليه إلا بصبر طويل وتأمل عميق.

٣- اعتماد مادة المقاصد القرآنية في المناهج العلمية للدراسات العليا في الأقسام المختصة بالدراسات القرآنية، بل والأقسام الشرعية بعامة؛ لما لهذه المادة من أثر في صقل موهبة الطالب وشحذ ذهنه.

وفي الختام أسال الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فيما إليه قصدت من بناء منهجية علمية تكون عونا -بإذن الله- للباحث في مقاصد القرآن الكريم، وهداياته، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

-الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) ،تحقيق: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م

-إحياء علوم الدين لأبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) ،نشر: دار المعرفة – بيروت.

-أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة (٤٦٨هـ)، تحقيق الدكتور ماهر ياسين الفحل طبع :دار اليمان.

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٩٣هـ) ،نشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان،١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م

-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ،تحقق: أحمد عصام الكاتب ،نشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

-بحر العلوم لأبي الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة (٣٧٣هـ)، طبع: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

-البحر المحيط في التفسير لأبي حيان مُحَمَّد بن يوسف أثير الدين الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي مُحَمَّد جميل ،نشر: دار الفكر – بيروت١٤٢٠هـ.

-البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤هـ)،تحقيق :مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، لطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

-التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للشيخ مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة (١٣٩٣هـ) ،نشر: الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ.

-التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى سنة (٧٤١هـ) ،تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ،بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ

-التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، نشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

-تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى بن مُحَمَّد المري، المعروف بابن أبي زَمَنين المالكي المتوفى سنة (٣٩٩هـ)، تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة - ومُحَمَّد بن مصطفى الكنز، نشر: الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

-تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) ،تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

-التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين، طبعة دار عمار ١٤٢٨هـ

-التفسير والمفسرون للدكتور مُحَمَّد السيد حسين الذهبي المتوفى سنة (١٣٩٨هـ) ،نشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

-تهذيب اللغة لأبي منصور مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المتوفى سنة (٣٧٠هـ) ، تحقيق مُحَمَّد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

-التيسير في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) ،تحقيق: اوتو تريزل ،نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) ،تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري مُحَمَّد بن جرير المتوفى سنة (٣١٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

-الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ٢٠١٤م

-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ،نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

-جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الصمد الهمداني، علم الدين السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، ود.محسن خرابة، نشر: دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

-جمهرة اللغة لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة (٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨هـ) ،تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن مُحَمَّد ،نشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية١٤١٩هـ -١٩٩٩م

-جواهر القرآن لأبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) ، تحقيق الدكتور الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا القباني ،نشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

-الدر المنثور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)، نشر: دار الفكر – بيروت.

-دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل بن علي القرشي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة المتوفى سنة (٥٣٥هـ)، تحقيق: مُحَمَّد مُحَمَّد الحداد ،نشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

-دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي، نشر مكتبة الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٨هـ
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى سنة (١٢٧٠هـ) ،تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٥هـ
-زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)،تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.
-سنن الترمذي -(الجامع الصحيح)- ، للإمام أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة (٢٧٩هـ) تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، طبع شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.
-شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة(٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ)،نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان،١٣٩٨هـ-١٩٧٨م
-صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة (٢٥٦هـ) ، طبع دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض الطبعة الثانية ١٤١٩هـ .
-صحيح السيرة النبوية للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة(١٤٢٠هـ)،نشر: المكتبة الإسلامية عمان – الأردن، الطبعة الأولى.
-صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-الصحيح من أحاديث السّيرة النبوية لأبي عمر، مُحَمَّد بن حمد الصوياني ، نشر: دار الوطن للنشر ،الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

-صحيح وضعيف سنن الترمذي للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني المتوفى سنة (١٤٢٠هـ) ، طبع المكتب الإسلامي.

-علم مقاصد السور للدكتور مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن الربيعة ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

-علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم للدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري، نسخة الكترونية منشورة على الشبكة العنكبوتية بصيغة PDF.

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ) ، نشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

- في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة(١٣٨٨هـ)، طبع دار الشروق، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٨هـ.

- قطف الأزهار في كشف الأسرار لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة(٩١٠هـ)

- كتاب التعريفات لعلي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب العلمية بيروت — لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

- كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى التميمي، المعروف بابن مجاهد البغدادي المتوفى سنة (٣٢٤هـ)، تحقيق شوقي ضيف ،نشر: دار المعارف — مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ

- كتاب السير والمغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (١٥١هـ) ،تحقيق: سهيل زكار، نشر: نشر دار الفكر ، بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

-كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى سنة (١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال.

-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار أبي بكر، عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان المعروف بابن أبي شيبة المتوفى سنة(٢٣٥هـ)،تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)١٨٤/٤، نشر: دار الكتاب العربي — بيروت ،الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ

-الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي، المتوفى سنة (٤٢٧هـ) ،تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م

-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الحنفي المتوفى سنة (١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش، ومُحَمَّد المصري، طبع: مؤسسة الرسالة ببيروت.

- لسان العرب لأبي الفضل مُحَمَّد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري المتوفى سنة (٧١١هـ)، نشر: دار صادر— بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤هـ

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى سنة (٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد ،نشر: دار الكتب العلمية — بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

- مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح الأندلسي المتوفى سنة (٤٩٦هـ) ،نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

- مختصر التحرير في أصول الفقه للعلامة تقي الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المتوفي سنة (٦٧٢هـ)، تحقيق الدكتور مُحَمَّد مصطفى مُحَمَّد رمضان، طبع: مكتبة دار الأرقم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ
- مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن للدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز المتوفى سنة (١٣٧٧هـ) ،نشر دار القلم بالكويت بتاريخ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو شهبة ،طبع :مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفي سنة (٤٠٥هـ)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ – ١٩٩٠م.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) ،نشر: مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي المتوفى سنة (٥١٠هـ) ،تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر : دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر المتوفى سنة (١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المتوفى سنة (٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، نشر :دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير) لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة (٦٠٦هـ)،نشر: دار إحياء التراث العربي، ببيروت ،الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

- مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير للشيخ صالح آل الشيخ، منشور بصيغة PDF على الشبكة العنكبوتية.
- مقدمة التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨هـ) مع شرحها للشيخ مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين المتوفى سنة (١٤٢١هـ)،إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد الطيار، نشر: دار الوطن بالرياض ،الطبعة الأولى١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني المتوفى سنة (١٣٦٧هـ) ،نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- منهجية البحث في الموضوع القرآني الضوابط والخطوات للدكتور مُحَمَّد بن سيدي عبد القادر، بحث محكم ومنشور بمجلة جامعة الطائف، المجلد الثاني العدد التاسع.
- الموافقات للإمام إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي المتوفى سنة (٧٩٠هـ)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الموضوعات للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور أحمد القيسية، طبع مؤسسة النداء، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادي المقري المتوفى سنة (٤١٠هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ومُحَمَّد كنعان ،نشر: المكتب الإسلامي ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ..
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم للشيخ الدكتور مُحَمَّد بن عبد الله دراز المتوفى سنة (١٣٧٧هـ)، نشر دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ) ، تحقيق علي مُحَمَّد الضباع ، طبع دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع بجدة، الطبعة الرابعة.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) ،نشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- نفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي المتوفى سنة (١٤٠٣هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله الميموني المطري ، طبع دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام لأبي أحمد مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكَرَجي القصَّاب المتوفى نحو سنة (٣٦٠هـ) ، تحقيق إبراهيم منصور الجنيدل، نشر: دار القيم، ودار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
- النكت والعيون-(تفسير الماوردي)- لأبي الحسن علي البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ)،تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ،لأبي مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي القيرواني ثم الأندلسي المالكي المتوفى سنة (٤٣٧هـ) تحقيق مجموعة من الباحثين في رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بالمغرب بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، نشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى سنة (٤٦٨هـ) ،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي مُحَمَّد معوض، والدكتور أحمد مُحَمَّد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس ،نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.